الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

أثر الأسلوب القرآني في رسالة " طوق الحمامة " لابن حزم الأندلسي

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة :
اللغة و الأدب العربي.

التخصص :
أدب عربي قديم .

إعداد الطالبة :
ياسمينة شعيب .

إشراف الأستاذ :
عمار قرايري .

السنة الجامعية : 2013 / 2014 .

لقد شغلت قضية الأسلوب القرآني اهتمام الكثير من الباحثين و العلماء ، هذه القضية التي أسالت الكثير من الحبر ، باعتباره (الأسلوب) من أهم أسباب و أوجه الإعجاز القرآني ، و قد اخترت أن يكون بحثي هذا متعلقا بهذه المسألة ، و لذلك فقد عنونت هذه المذكرة بـ : " أثر الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة في الألفة و الألاف لابن حزم الأندلسي " .

و قد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب لعل من أهمها : رغبتي الكبيرة في الكشف و لو عن جزء بسيط من هذا التأثير القرآني في رسالة ابن حزم ، و كذا محاولة معرفة بعض جوانب هذا الأسلوب (الأسلوب القرآني) . و ربما اختياري له كان وراء حبي الكبير و شغفي بالدراسات القرآنية أولا ، ثم إعجابي الكبير بمدونة " طوق الحمامة " لما وجدت فيها من جمال في الأسلوب و رقة في المعاني من ناحية ، و كذا اختزانها للكثير من الأساليب القرآنية من ناحية أخرى .

و قد تطلب مني ذلك قراءات كثيرة و متمعنة في آيات الذكر الحكيم و تدبر معانيه و ألفاظه و تراكيبه و الإطلاع على أسلوبه ، محاولة تلمس آثار ذلك على مدونة ابن حزم لمعرفة مدى قوة هذا المؤثر فيه ، و كيفية تفاعله معه .

و قد سبق و أن تطرق باحثون إلى مواضيع قريبة من هذا الموضوع و التي نذكر منها : أسلوب القرآن لـ : عبد الخالق عظيم ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي _ دراسة في الشعر الأندلسي منذ الفتح و حتى سقوط الخلافة – لـ : محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي في القرن الخامس الهجري لـ : طارق محمد السلامين .

و كلها دراسات و أبحاث اعتمدتها كلبنة أساسية في تشكيل عناصر هذا البحث وإعداد خطته الأولية .

و قد اتبعت خلال فصول هذا البحث مناهج مختلفة ارتأيت أنها الأنسب لتجسيد الخطة التي رسمتها لهذا الموضوع ، و تحقيق أهدافه و الوصول إلى غرضه المرجو . و عليه فقد اعتمدت المنهج الفني الوصفي كمنهج أساس ، و خاصة في الجانب التطبيقي الذي عملت

من خلاله على تسليط الضوء على الظواهر الأسلوبية الواردة في الطوق و تفسيرها و تحليلها و الكشف عن أوجه التفاعل و الترابط بينها و بين الأسلوب القرآني . كما استخدمت عبر مراحل هذا البحث مناهج مساعدة كان أهمها : المنهج الاجتماعي من أجل الإلمام بالحياة الثقافية و الفكرية للأدب الأندلسي ، و كذا الإحاطة بالظروف و البيئة التي كان يعيشها المجتمع في عصر مؤلفنا و كاتبنا أبو محمد علي ابن حزم ، إضافة إلى المنهج التاريخي بهدف التتبع الزمني و التاريخي لمختلف العلوم التي تطرق البحث لها و كذا لسرد و رواية مراحل حياة هذا الأديب و كان هذا في جانبه النظري.

و من أجل بلوغ غاية هذا البحث فقد قمت بتقسيمه إلى فصلين و خاتمة ، ويتصدرهما مدخل تطرقت فيه إلى عنصرين هما :

ـ أثر القرآن الكريم في اللغة و الأدب العربي – عامة – ، أثر القرآن الكريم في الأدب الأندلسي – خاصة – .

و ذلك في محاولة مني للكشف عن أوجه الحياة الثقافية و الفكرية التي كان يعيشها المجتمع الأندلسي و مدى حظ القرآن الكريم و الدراسات القرآنية من هذه الحياة و ملامح تأثيره في أدبهم من خلال ضرب أمثلة من أدبهم و شعرهم ، و الذي يمكن القول أني اعتمدته (المدخل) كتوطئة للدخول إلى هذا الموضوع .

أما فيما يتعلق بالفصل الأول (الجانب النظري) و الذي عنونته بـ : " الأسلوب القرآني ماهيته و خصائصه " فقد تطرقت من خلاله إلى خمس عناصر و هي :

ـ التعريف بعلم الأسلوب لغة و اصطلاحا ، وعرض لمحة عن نشأة هذا العلم و أقوال الباحثين و اللغويين حوله ، خصائص الأسلوب القرآني في محاولة لاستخراج بعض سمات هذا الأسلوب الذي يعد ملمحا من ملامح : الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، و ذكر سبب إعجازه و بعض وجوه التحدي البياني للنص القرآني ، أمثلة عن الأساليب القرآنية ، وتناولت في هذا العنصر الأساليب الخبرية و الإنشائية ، التوكيد و التكرار ، الحقيقة و المجاز، الأسلوب القصصي ، و تقديم أمثلة عن كل أسلوب من القرآن الكريم ، و أخيرا محاولة معرفة ملامح تميز و تفرد الأسلوب القرآني عن الأساليب العربية القديمة ، و التي اخترت

من بينها أساليب فنون كان العرب يعتبرونها قمة الإبداع و أروع ما جادت به قرائحهم وهي : الشعر ، سجع الكهان ، و الخطابة ، و تعريف كل منها و عرض نماذج عن كل فن ، ومن ثمة التوصل إلى أهم الفروق بين هذه الأساليب الثلاثة و بين الأسلوب القرآني .

أما الفصل الثاني و المعنون بـ : " الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة " فقد خصصته للجانب التطبيقي و قمت بتقسيمه إلى مبحثين اثنين :

الأول : و يتعلق بالجانب الشكلي و فيه استخرجت صورا عن التناص القرآني ، الألفاظ ، و الفاصلة القرآنية من خلال رسالة طوق الحمامة .

أما المبحث الثاني فجاء مرتبطا بالبنية المعنوية ، و قد قمت أثناءه باستخلاص المعاني و الدلالات القرآنية الموجودة في المدونة و ذلك من خلال عنصرين هما :

الأسلوب القرآني : و الذي توزع على ثلاثة أساليب و هي : الخبر و الإنشاء ، و الحوار – حسب البحث – .

المعاني القرآنية : و قد قسمتها إلى حقول دلالية حسب ورودها في الرسالة و هي : حقل المعاني الدالة على أسماء الله تعالى و صفاته ، حقل المعاني الدالة على الموت و الحياة ، حقل المعاني الدالة على صفات المؤمنين و أخلاقهم ، و كذا حقل العقيدة الإسلامية .

أما فيما يخص خاتمة البحث فقد قدمت فيها جملة من النتائج ، و التي تم استخلاصها و استنباطها من خلال فصول هذا العمل .

و قد قمت أثناء رحلة عرضي و تطبيقي لفصول هذا البحث باستغلال عدة مصادر ومراجع أهمها :

دلائل الإعجاز لـ : عبد القاهر الجرجاني ، إعجاز القرآن لـ : الباقلاني ، تأويل مشكل القرآن لـ : ابن قتيبة ، البرهان في علوم القرآن لـ : الزركشي .

هذا فيما يخص الدراسات القرآنية أما فيما يخص علم الأسلوب فنجد :

الأسلوبية و الأسلوب لـ : عبد السلام المسدي ، الأسلوب لـ : أحمد الشايب ، البلاغة والأسلوبية لـ : محمد عبد المطلب . وغيرها من المصادر و المراجع التي أسهمت في إثراء هذا البحث بشكل كبير .

غير أنه و كغيره من البحوث فقد واجهتني خلاله عراقيل و صعوبات لعل أبرزها : كثرة المصادر و المراجع خاصة تلك المتعلقة بالإعجاز القرآني ، و كذا علم الأسلوب و هو الأمر الذي صعب علي من مهمة حصر المادة العلمية ، و أيضا مشكل صعوبة الحصول على مراجع فيما يخص المذهب الظاهري ؛ بحيث لم أجد عنه معلومات كافية تروي عطش الباحث فيه ، أما المشكل الآخر الذي واجهني فيكمن أساسا في تشعب الموضوع و اتساعه ، و هو الأمر الذي جعلني أواجه مشكل تحديد مجال البحث الذي لولا التقيد و الاختصار، لكان قد تعدى إلى ضعف هذا الحجم و ربما أكثر . و لكن و من جهة أخرى فقد كانت تلك العوائق – و إلى حد كبير – سندا لي في إثراء هذا البحث بأهم المصادر و المراجع ، وكذا جمعه (البحث) لأهم أقوال و آراء العلماء و الباحثين .

و في الأخير كان لزاما علي الإشادة بفضل كل من ساهم في إتمام هذا العمل من قريب أو من بعيد ، و أخص بالشكر الجزيل الأستاذ المشرف " عمار قرايري " الذي لم يتوان عن تقديم النصح و الإرشاد و مد الدعم و الحب الكامل لي و لهذا البحث .

و أعظم الشكر لأستاذة كان لها الفضل الكبير في وصولي إلى هذا المقام ، إلى الأستاذة الموقرة " غزالة شاقور " ، و إلى جميع أساتذة معهد الآداب و اللغات .

" **فالشكر كل الشكر لكل من أضاء شمعة لينير بها دربا من دروب العلم** " .

1 - أثر القرآن الكريم في اللغة و الأدب العربي:

إن الذي لا جدال فيه هو أن اللغة العربية من أعظم العوامل التي أسهمت في توحيد الأمة العربية، ولم شملها، غير أن نزول القرآن باللسان العربي زاد في علو شأنها ، ومكانتها بين باقي اللغات ، وأضفى على أساليبها رونقا وكرما للمعاني وشرفا في الأغراض.

فإلى القرآن الكريم يعود الفضل في بقاء اللغة العربية و الوحدة الإسلامية ، و في هذا يقول " طه حسين " فيما نقله محمد الصالح الصديق : « **والقرآن بعد هذا كله هو الذي حفظ اللغة العربية أن تذوب في اللغات الأجنبية التي تغلبت على اللغة العربية (...) ولكن القرآن عصم هذه اللغة من الضياع ، وحال بين الخطوب الجسام وبين التأثير فيها** ». [1]

وقد كان أيضا (القرآن الكريم) سببا في انتشار اللغة العربية و تهذيبها ، كما أنه يعتبر اللبنة الأساسية لكثير من العلوم و المعارف : « **فقد وحد اللغة العربية وحفظها و وسع نطاقها و عمل على تليينها و تهذيبها ، ثم إنه كان أساس العلوم اللغوية و البيانية عند العرب و هو أبدا المثال الأعلى في البلاغة و الفصاحة** » . [2]

وهكذا فـ إن القرآن الكريم – وبشهادة الباحثين – هو الذي حمى اللغة العربية وأعطاها شرف الخلود وبوأها أرفع مكانة وأعلى الدرجات .

وقد ذهب "سيديو" المذهب نفسه في خضم حديثه عن أثر القرآن الكريم في الأدب العربي ، حيث يرى بأنه مثال يحتذي به الأديب من حيث الأساليب و الصور .

---

[1] محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1994 ، ص 270 .

[2] حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، _ الأدب العربي القديم _ ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، مجلد 1 ، 1411 هـ _ 1991 م ، ص 336 .

، و حتى في النحو يقول : « **القرآن هو الأساس الأول لأدب العرب و قد صلح القرآن ليكون نموذجا للأساليب وقواعد النحو** » [1] .

و الخلاصة أن القرآن أحدث أكبر انقلاب في حياة العرب، فاستطاع أن يربي النفوس و الأخلاق و يلين القلوب ويهذب الأساليب، وكان للغة و الأدب العربيين تبعا لذلك انتشارهما و رقيهما وعظمت بعظمة القرآن وتقدست بقداسته، ويمكن تلخيص الأثر القرآني في الأدب العربي عامة في النقاط الآتية :

1 – دفع إلى جمع مادة الأدب العربي ونصوصه شعرا ونثرا للاستعانة بها على فهم القرآن و تفسيره .

2 _ ساعد على ترقية الأساليب الأدبية بمحاكاة الأدباء للأساليب القرآنية وجمال تعبيرها و تحلية أساليبهم بالاقتباس منه .

3 _ دفع الأدباء إلى دراسة تاريخ الأمم لفهم ما جاء به من قصص الأنبياء و الشعوب التي أرسلوا إليها .

4 – جعلوا من قصص القرآن مادة خام تناولها الأدباء بالعرض و الدراسة أوحت إليهم بكثير من القصص و المسرحيات .

[1] محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص 271 .

2 – أثر القرآن الكريم في الأدب الأندلسي:

يعد القرآن الكريم أكبر رافد على الحياة الأدبية العربية قديما ، سواء أكانت شعرا أم نثرا وقد كان له أثر كبير في تغيير وجهه ا و وجهته ا حيث نلمح اصطباغ أسلوب الأديب أو الشاعر الأندلسي بألفاظ و معاني القرآن و صوره و حتى في لغته .

و لكن و قبل الخوض في تأثير القرآن الكريم في الأدب الأندلسي لا بد و أن نعرج أولا على الحياة الفكرية و الثقافية التي كان يعيشها الأندلسي و دفعته نحو التطور و الازدهار .

يقول " المقري " في كتابه نفح الطيب : « **و علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ و النظم و النثر و مستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم ، و به يتقرب من مجالس ملوكهم و أعلامهم و من لا يكون أديب من علمائهم فهو غفل مستثقل** ».[1]

و من هنا ندرك أن القاعدة الأساسية التي كان الأندلسي يبني عليها ثقافته إنما تكون بالاطلاع الواسع على التراث الأدبي و روايته و حفظه ، و هو ما يجعله أهم رافد من روافد ثقافة المبدع الأدبية .

و لعل أهم ما يميز هذه الفترة اهتمام الملوك و الحكام بالتعليم . يقول " ابن خلدون " : « **و أما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم و كثرة رواية الشعر ، و الترسل ، و مدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي** » [2].

فمن خلال قول " ابن خلدون " في مقدمته نلحظ حرص أهل الأندلس على إتقان طالب العلم للعربية و أصولها من خط و قراءة و كتابة ، ثم يوجه إلى حفظ القرآن و أحكامه ، خشية الوقوع في الخطأ في كتاب الله

---

[1] المقري : أحمد بن محمد التلساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1986 م ، ص 222 .

[2] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ط 4 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 539 .

فالتعليم إذا هو القاعدة الجوهرية و اللبنة الأساسية للحياة الفكرية عند الأندلسيين فقد كانوا « **أحرص الناس على التميز (...) و العالم عندهم معظم من الخاصة و العامة ، يشار إليه و يحال عليه ، و ينبه قدره وذكره عند الناس ، و يكرم في جوار أو ابتياع حاجة** » .[1]

و لهذا نجد أن العلوم كان لها حظ عظيم عند أهل تلك البلاد التي كانت تشجع الفرد على التعلم على حساب أي شيء آخر مهما بلغت أهميته و قدره ، فالتعليم من أولى الأولويات في حياتهم .

و باطلاعنا على المواد الملقنة لطالب العلم عبر مراحل التعليم المختلفة من ذلك العصر ، وما يكتبه من ملكات يمكن أن يوحي لنا عن شخصيته (طالب العلم) الفكرية و الثقافية و الأدبية « **التي كانت تقوم في أكبر قسط منها على المؤلفات الدينية من اللغة و الحديث و السيرة النبوية تليها علوم اللغة بأنواعها أما الأدب و الشعر فلا يحظيان إلا بالنزر اليسير ...** » [2] .

و لا شك أن الفضل في هذه النهضة العلمية يعود بالدرجة الأولى إلى الحكام و الأمراء الذين ميزوا العلماء و المفكرين و الأدباء عن عامة الناس و بوؤوهم أعلى المراتب و أرفع المنازل و أغدقوا عليهم بالأموال الطائلة .

و قد أثمر تشجيعهم لطالبي العلم ، فازداد أعداد الوافدين على بلاد الأندلس من أجل التزود بالعلوم و المعارف المختلفة التي كانت منتشرة هناك ، و الأخذ عن مشايخها .

– و لعل أكبر حاكم يمكن الإشارة إليه " عبد الرحمان الناصر " الذي ظهر في (القرن الرابع الهجري) و الذي استطاع أن ينقذ الحضارة الإسلامية الأندلسية من مخاطر تهدد باندثارها فعمل على حماية آداب العرب و معارفهم ، و شجع على تطوير العلوم

---

[1] المقري : أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ص 220 .

[2] حسناء بوزوينة الطرابلسي ، حياة الشعر في نهاية الأندلس ، ط 1 ، دار محمد علي الحامي ، صفاقس ، تونس ، 2001 ، ص 61 .

المختلفة « **وقد عني عبد الرحمان الناصر بحماية الآداب و العلوم ، و شجع الأندلسيين على دراسة الرياضيات و الفلك و الحديث ، و غير ذلك من العلوم الدينية...**». [1]

- كما كان هناك الأمير المرواني عبد الرحمان الأوسط (822 - 852 هـ) : أديب و شاعر، عمل على جلب ما ألف و ترجم في بغداد و الشام ، و إكرام العلماء و الأدباء .

- أما الحكم المستنصر (961 - 976) : فقد ضمت مكتبته أكثر من أربعمائة ألف مجلد في جميع المجالات ، و في شتى العلوم ، وفي عهده نشطت الحركة العلمية و الأدبية ، وازدهرت الحضارة الأندلسية ازدهارا لم تشهد له مثيلا : « **لم تكن النهضة الفكرية مقصورة على الناحية الأدبية ، بل شملت الناحية العلمية ، حيث نبغت طائفة من أكابر الرياضيين و الفلكيين الذين كانت بحوثهم مستقى خصبا لاقتباس الغرب ، و منهم : أبو إسحاق الزرقاني ، و أبو القاسم أصبغ بن السمح ، و أبو الوليد هاشم الوقشي** » [2].

و في ظل هذه الحركة الفكرية النشطة كان التنافس على أشده بين المفكرين و الشعراء ، لذا كانت تقوم مناظرات و مساجلات بينهم لمعرفة الأبرع ، و الفوز بالعطايا و المنح .

« **لم يكن مجال هذه المناظرات التنافس و الكسب فقط كما أنها لم تكن لمجرد التسلية و إنما كانت أسلوبا من أساليب امتحان القدرة الفكرية و الفنية** » [3] .

و هو ما يفسر القدر العظيم الذي كان يوليه الأندلسي ون للعلوم والآداب و المعارف المختلفة مما أسهم في ازدهار الحياة الفكرية و الثقافية في هذا العصر.

يقول ابن خلدون *:* « **واعتبر ما قررناه بحال بغداد و قرطبة و القيروان و البصرة و الكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم و تفننوا**

---

1 زكريا إبراهيم ، ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي ، ص 14 .

2 عبد الحليم عويس ، ابن حزم الأندلسي و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ص 37 .

3 المصدر نفسه ، ص 39 .

في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم و استنباط المسائل و الفنون حتى أربوا على المتقدمين و فاقوا المتأخرين ». [1]

و قد ظهر نوابغ و أعلام في مختلف الميادين العلمية و الفكرية و الأدبية .

ففي علم اللغة مثلا ظهر العديد من العلماء في هذا العصر لعل من أشهرهم :

- أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي الكلبي . (ت . 741 هـ – 1340 م) و هو فقيه قائم على التدريس له ضلع في الفنون العربية و الفقه و الأدب و الحديث.
- أبو حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي : و هو من أشهر أعلام الأندلس في النحو و اللغة و التفسير و الفقه .
- أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار الالبيري : (ت. 723 هـ – 1323 م) فقيه و أديب و لغوي من تلاميذه لسان الدين الخطيب.
- أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي (ت . 720 هـ – 1388 م) وهو فقيه و أصولي ومفسر و لغوي .

مما سبق نخلص إلى أن الأندلسيين كان لهم اهتمام كبير بالعلوم العربية . ومنذ العصور الأولى . وقد كثرت فيها التآليف في هذا العصر بالذات ، وهو ما تفسره الأعداد الكبيرة من العلماء في مجال اللغة و الدين في بلاد الأندلس .

أما الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه فقد بدأ منذ الفتح وقد زاد هذا الاهتمام أكثر بواسطة دور التعليم ، والمساجد التي كانت مكفولة من طرف الدولة .

هذه البيئة التي نشا فيها الأندلسي كان لا بد و أن تؤثر في ثقافته وفكره ، و المتتبع لهذا الأدب يلاحظ التأثير القرآني فيه.

ويمكن أن نمثل لهذا التأثر بابن شخيص الذي نورد له أبياتا من الشعر يمجد من

[1] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 362 ، 363 .

خلالها المساجد ودور التعليم الذي كان سائدا في بلاد الأندلس يقول : [1]

وساحة المسجد الأعلى مكللة **** مكاتبا لليتامى من نواحيها**

لو مكنت سور القرآن من كلم **** نادتك يا خير تاليها و راعيها**

و يستمر هذا المؤثر في شعراء الأندلس فمن الأدباء يطالعنا الأديب و الفقيه ابن حزم الأندلسي ، الذي يعبر عن تأثره بالقرآن الكريم بقوله : [2]

لا أنثني نحو آراء يقال بها **** في الدين بل حسبي القرآن و السنن**

ومن الشعراء الذين كان للدين أثر قوي في حياتهم نجد الشاعر أب ا إسحاق الألبيري الأندلسي ، ابن زيدون ، ابن الدراج و ابن هانئ الأندلسي وغيرهم من الشعراء كثير و الذين ظهر التأثير القرآني واضحا في شعرهم كونه يعد رافدا مهما في ثقافتهم وفكرهم و بالتالي في أدبهم و شعرهم .

غير أن نسب هذا التأثير تختلف من شاعر إلى شاعر، ومن أديب لآخر تبعا للثقافة الدينية التي اعتمدها كل واحد منهم ، ولكن المهم أن أثر القرآن الكريم كان قويا وواضحا ، وأنه ظاهر في النتاج الشعري و الأدبي الأندلسي وهذا ما سنلاحظه في فصول هذا البحث مع الفقيه و الأديب أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي .

---

[1] ينظر : ابن عذارى البيان المغرب ص 241 . نقلا عن : محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي _ دراسة في شعر الأندلس منذ الفتح و حتى سقوط الخلافة _، ط 1 ، دار دجلة ، الأردن ، 2008 م ، ص 11 .

[2] سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم ، مطبعة جامعة دمشق ، سوريا ، 1963 م ، ص 22 .

تمهيد :

لقد ظل القرآن الكريم على مدى عقود طويلة من الزمن يتحدى العرب و غير العرب على الإتيان بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بأقل من ذلك ؛ و لكنهم عجزوا عن ذلك ، و وقفوا إزاء هذا التحدي موقف الحائر الذي لا يدري كيف يدفع عن نفسه هذا العجز و لعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طريقة البناء المحكم التي امتاز بها الأسلوب القرآني ، و كذا الخصائص الفنية و الجمالية للغة و العبارة القرآنية .

و السعي إلى إدراك هذه الخصائص تعتبر بمثابة الخطوة الأولى في سبيل تفسير هذا الجمال اللغوي تفسيرا موضوعيا ؛ و هذا التفسير هو ما من شأنه أن يضع أيدي الأدباء واللغويين على مواطن التعبير المختلفة الكامنة في الأسلوب القرآني ، و التي يمكن استغلالها في إنشاء معان و دلالات جديدة لم يعرفها العرب سابقا .

1 _ مفهوم الأسلوب :

يحتل موضوع الأسلوب مكانة هامة في حقل الدراسات الأدبية و النقدية ، وهو يقوم في جوهره بتحليل العمل الأدبي من أجل اكتشاف مواطن الجمال فيه انطلاقا من شكله اللغوي ، باعتبار الأدب فنا يعبر عن ظاهرة معينة من خلال طريقة التعبير ، و التي من خلالها (طرق التعبير) يمكن تقسيم الأعمال الأدبية إلى أجناس .

و تعود الجذور التاريخية اللغوية لعلم الأسلوب إلى اللغات الأوربية و الذي يعني الريشة ، فهو مشتق من المصطلح اللاتيني stilus [1].

ثم انتقل مفهومه ليتعلق بطريقة الكتابة ، ثم أصبح يطلق على التعبيرات اللغوية القديمة .

و استعمل لفظ الأسلوب في العهد الروماني مع " شيشرون " للإشارة إلى صفات اللغات المستعملة .

أما آرسطو فيستخدم لفظة lexis ، **أي** لغة و كلمة مقابل لفظ taxis ، الذي يعني القول أو الأسلوب . و قد ورد هذا المصطلح لأول مرة في القاموس الانجليزي **oxford** سنة 1846 ، ودخل القاموس الفرنسي أول مرة عام 1872 .[2]

وورد في الموسوعة الفرنسية encyclopédie universalise أنه : « **يمكن استخلاص معنيين لكلمة أسلوب و وظيفتين : فمرة تشير هذه الكلمة إلى نظام الوسائل و القواعد المعمول بها أو المخترعة ، و التي تستخدم في مؤلف من المؤلفات و تحدد – مرة أخرى – خصوصياته و سمة مميزة : فامتلاك الأسلوب فضيلة** » [3].

---

[1] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية : الرؤية و التطبيق ، ط1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الأردن ، 1427 هـ – 2007 م ، ص 35 .

[2] صلاح فضل ، علم الأسلوب : مبادؤه و إجراءاته ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1419 هـ – 1998 م ، ص 94 .

[3] منذر عياشي ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ط1 ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، 2002 ، ص 29 .

هذا فيما يخص الجذور التاريخية لمصطلح الأسلوب ، أما في اللغة العربية فهو كما يقول ابن منظور : « **يقال للسطر من النخيل و كل طريق ممتد فهو أسلوب ، و الأسلوب هو الطريق و الوجه و المذهب و يجمع أساليب ، و هو الطريق نأخذ فيه و الفن . يقال أفن فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه** » [1].

كما يمكن أن يطلق مصطلح الأسلوب في معناه اللغوي على :

1_ النظام و القواعد العامة كالحديث مثلا عن أسلوب المعيشة أو أسلوب العمل لدى جماعة من الناس .

2_ كما يمكن أن يعني الخصائص الفردية التي تميز شيئا عما سواه نحو : أسلوب الكاتب أو أسلوب موسيقي خاص .[2]

هذا من الناحية الـلغوية أما من الناحية الاصطلاحية و الدلالية فلا يمكن أن نجد تعريفا ثابتا و شا ملا لهذا العلم ، نظرا لاختلاف وجهات النظر فيه بين العلماء . لذلك اخترت أهم المفاهيم التي قيلت في الأسلوب و سأعرض أهمها بدء بعلماء الغرب نظرا لأسبقيتهم للبحث فيه من العرب .

_ فمثلا " شارل بالي Charles Bally* " مؤسس علم الأسلوب يعرفه قائلا : « **مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ ومهمته البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة** » .[3]

---

[1] ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد الإفريقي المصري ، لسان العرب ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مجلد 3 ، 1997 م ، (مادة سلب) ، ص 314 .

[2] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص 20 .

* **شارلز بالي** : لساني سويسري ، ولد في جنيف و توفي بها ما بين (1865 _ 1947 م) ، تتلمذ على يد سوسير ، أرسى قواعد الأسلوبية . من مؤلفاته : الأسلوبية الفرنسية ، اللغة و الحياة ، اللسانيات العامة و اللسانيات الفرنسية .

[3] صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادؤه و إجراءاته ، ص 98 .

و من هنا فأصل الأسلوب عنده هو إضفاء عنصر التفاعل و التأثير إلى التعبير ، و لا شك أن هذا العنصر التأثيري ذو محتوى عاطفي محض .

ـ أما " رومان جاكبسون – Roman jakobson* " ، فيذهب إلى القول أن الأسلوب: « **بحث عما يميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب أولا و من سائر الأصناف الفنون الإنسانية ثانيا** » .[1]

وهو في قوله هذا يرى أن الأسلوب : هو ما يميز الكلام الفني عن الكلام الاعتيادي ، وفن الأدب عن الفنون الأخرى .

أما عند " جان كولن jean – paul colen* " فالأسلوب هو : « **كل ما ليس شائعا ولا عاديا ، ولا مطابقا للمعيار العام المألوف** » .[2]

و هو بقوله هذا يذهب بنا إلى معنى الانزياح ، فالأسلوب عنده هو ذلك العنف المنظم الذي يرتكب بحق الكلام الاعتيادي ، فيخرج به عن المألوف ، ليصبح هذا الكلام فنيا .

أما عند " ريفاتير * micheal – riffaterre" فيذهب إلى القول أن علم الأسلوب يقوم بدراسة و تحليل العمل الأدبي كونه نسيجا لغويا له تشكيلاته و ضوابطه الفنية ، و هو ما يميزه عن بقية المناهج النصانية الأخرى ؛ حيث يقول : « **هو علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية ، وهي بذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم**

---

* **رومان جاكبسون** : ولد في موسكو 1896 ، اضطلع على أعمال سوسير و هيسارل ، أسس النادي اللساني في موسكو ، ثم في براغ عام 1920 . من مؤلفاته : محاولات في اللسانيات العامة .

[1] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ط 5 ، دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، 2006 م ، ص 34 .

* **جان كولن** : من مواليد 1934 بفرنسا ، أستاذ لساني في جامعة نانتار ، يهتم بالمعجمية و تحليل النصوص الأدبية . من مؤلفاته : القاموس الجديد لصعوبات اللغة الفرنسية .

[2] فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث _ دراسة في تحليل الخطاب _ ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ – 2003 م ، ص 20 .

* **ريفاتير** : أستاذ بجامعة كولومبيا ، اختص بالدراسات الأسلوبية منذ مطلع القرن الخامس ، من مؤلفاته : محاولات في الأسلوبية البنيوية .

الأسلوب ، وهي تنطلق من اعتبار العمل الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا » .[1]

كما نجده في موضع آخر يميز بين الأسلوب الأدبي عن غيره من الأساليب فيقول : « **الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، و حمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها تشوه النص ، و إذا حللها وجد لها دلالات تتميز بها ، خاصة بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر و الأسلوب يبرز** ».[2]

أما عند النقاد العرب قديما فقد وردت لفظة أسلوب في سياقات مختلفة و مفاهيم متباينة.

فقد وردت لدى " ابن قتيبة "* في سياقين مختلفين : الأول في خضم حديثه عن الإعجاز القرآني ، و الثاني عن الشعر العربي القديم . وهو في كلا السياقين يقدم مفهوما واحدا للأسلوب ؛ باعتباره المذهب أو الطريقة التي يصوغ فيها الكاتب أو المؤلف أفكاره و عواطفه .

حيث يقول في كتابه تأويل مشكل القرآن : « **و إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره و اتسع علمه ، و فهم مذاهب العرب و افتتانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات** » .[3]

أما " ابن سنان " فقد ارتبط الأسلوب عنده بالغرض أو الموضوع الذي يتطرق إليه النص؛

---

1 فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص 15 .

2 يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية : الرؤية و التطبيق ، ص 37 .

* ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي من أسرة فارسية ، كانت تقطن مدينة " مرو " ولد سنة 213 هـ ، تتلمذ على يد : أحمد بن سعيد اللحياني و أبو محمد بن سلام الجمحي البصري . من مؤلفاته : تأويل مشكل القرآن ، تأويل مشكل الحديث ، الشعر و الشعراء ، كتاب الأنوار ... توفي سنة 279 هـ .

3 **ابن قتيبة** ، عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره : سيد أحمد صقر ، ط 1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1393 هـ _ 1973 م ، ص 12 .

إذ يقول : « **فإن لكل مقام مقال ، و لكل غرض فنا و أسلوبا** » .[1]

أما عند العلماء العرب المحدثين ، فقد ارتبط مفهوم الأسلوب عند " مصطفى صادق الرافعي* " بمبدعه ، حيث أن أسلوب الكاتب أو الأديب يوحي لنا عن عواطفه و انفعالاته في كل كلمة من كلماته ، و هو ما يجعل من الأسلوب عنده صناعة مكفولة بالفطرة و الموهبة الخالصة ، حتى يكون الكلام مقبولا لدى المتلقي . يقول في هذا المعنى : « **أما الأسلوب فيربطه بالتركيب و جزئياته ، و بالنطق الفكري عند المتكلم و المتلقي و خواصه النفسية ، فأفصح الكلام و أبلغه و أجمعه لحر اللفظ ، و نادر المعنى هو الجدير بأن يطلق عليه كلمة أسلوب** »[2] .

أما الدكتور" صلاح فضل " فيقول في كتابه علم الأسلوب : « **إن المعارف و الوقائع و الاكتشافات تتلاشى بسهولة و قد تنتقل من شخص لآخر و يكتسبها من هم أعلى مهارة ، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان ، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه . فالأسلوب إذا لا يمكن أن يزول ولا ينتقل و لا يتغير** » .[3]

أما " أحمد الشايب " فنجده يعرض تعاريف عديدة و مختلفة للأسلوب بدلا من تعريف واحد و ذلك على النحو التالي : « **فن من الكلام يكون قصصا أو حوارا أو تشبيها أو مجازا أو كتابة تقريرا أو حكما أو أمثالا** » .[4]

« **طريقة الكاتب أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بها**

---

[1] سامي محمد عبابنة ، التفكير الأسلوبي _ رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي _ ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2007 م ، ص 43 .

* **مصطفى صادق الرافعي** ، ولد سنة 1870 بالقليوبية ، تلقى العلوم الدينية على يد والده . من مؤلفاته : تاريخ آداب العرب ، إعجاز القرآن ، رسائل الأحزان ، أوراق الورد .

[2] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ط 3 ، مطبعة المقتطف و المقتظم ، القاهرة ، مصر ، 1928 ، ص 270 .

[3] صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادؤه و إجراءاته ، ص 96 .

[4] أحمد الشايب ، الأسلوب ، ط12 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 2003 م ، ص 41 .

عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير » .[1]

« هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام ، و تأليفه لأداء الأفكار و عرض الخيال أو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني » .[2]

فالأسلوب في نظره هو طريقة الكاتب أو الأديب في تأليف الألفاظ و العبارات ، وخلق الفكرة و صياغتها في الصورة المناسبة و الملائمة لها إذ يقول : **« الأسلوب هو طريقة تأليف الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير » .** [3]

أما " ابن خلدون " فإنه يرى أن الأسلوب هو القالب الذي يصب فيه المبدع أفكاره و أحاسيسه ، وفق نسيج معين من التراكيب حيث يقول : **« و لنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة ، صناعة الشعر و ما يريدون بها في إطلاقهم ، فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه » .**[4]

أما " محمد عبد المطلب " فيذهب إلى القول بأن الأسلوب إنما يتعلق في الأساس باللغة الأدبية التي تتميز في تركيبها و تنوعها عن باقي اللغات ، فيقول : **« ومن المهم الإشارة إلى التناول الأسلوبي ، إنما ينصب على اللغة الأدبية لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء ، بما فيه من وعي و اختيار و بما فيه من انحراف على المستوى العادي المألوف ... بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية » .**[5]

---

[1] أحمد الشايب ، الأسلوب ، ص 44 .

[2] المصدر نفسه ، ص 46 .

[3] أحمد الشايب ، الأسلوب _ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية _ ، ط 6 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1966 ، ص 45 .

[4] أحمد الشايب ، الأسلوب _ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية _ ، ط 8 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1411 هـ _ 1991 م ، ص 42 .

[5] محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، ط 1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1994 ، ص 186 .

و هو بذلك يذهب نفس المذهب الذي صاغ فيه " جان كولن " مفهومه للأسلوب بأنه الخروج عن المألوف . فللأدب – عنده – لغة تميزه عن الكلام العادي و الذي يتميز بالتلقائية ، أما اللغة الأدبية فهي لغة متنوعة تعكس الوعي الفني للكاتب أو المؤلف .

و هذا " منذر العياشي " ينحو منحى مختلفا في مفهومه للأسلوب بأنه يرتبط بالمعنى العام و السياق الذي تنصب فيه العبارة ، و عن الخصائص المميزة لتلك العبارة ، و ذلك النسق ، و ما تترك من انفعال في نفس المتلقي فيقول : « **إن ما تلاحظه الأسلوبية يتجلى في البحث عن معنى العبارة ، و عن سماتها الوجدانية ، وعن مكانها ضمن النسق التعبيري ، و في الطرق التي تعطي لهذه العبارة صورتها** » .[1]

و يمكن أن أختم هذه السلسلة من التعريفات بتعريف للدكتور " فرحان بدري الحربي " ، ارتأيت فيه الشمولية و الاتساع ، حيث يعرفه بالقول :

« **علم الأسلوب علم لغوي حديث ، يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية و الشعرية فتميزه عن غيره ، و تتعدى مهمة تحديد الظاهرة إلى دراستها بمنهجية لغوية ، و يعد الأسلوب ظاهرة لغوية في الأساس تدرسها ضمن نصوصها** » .[2]

إن كل هذه التعاريف و الاختلافات سواء في المصطلح أو في الماهية يخلق إشكالات كبيرة تواجه دارس الأسلوب ، تعود بالدرجة الأولى إلى كثرة القضايا التي يطرحها . إلا أنه يظل يحظى باهتمام وافر في مجال الدراسات اللغوية و الأدبية ، وله من الشمولية و الاتساع ما يجعله كائنا متجددا بسبب ما يحويه من ألفاظ و معاني و صور و تراكيب و اتساق و تلاحم بين أجزائه ، و خضوعه لنظام خاص يبقيه دوما في الساحة النقدية يثريها بالدراسات و الأبحاث .

[1] منذر عياشي ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص 31 .

[2] فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص 16 .

أنواعه :

يعتبر الأسلوب منهجا نقديا يقوم في الأساس على دراسة النص الأدبي و استخلاص عناصره اللغوية و التي تشكل أدبية الأدب و رصد خواصها و سماتها الجمالية في التركيب اللغوي . و ينقسم هذا العلم إلى أنواع عديدة و هي :

_ الأسلوب الوظيفي : و يتزعم هذا الاتجاه " رومان جاكبسون " ، و الذي قام بتقسيمها إلى ستة وظائف أساسية و هي :

_ الوظيفة الانفعالية : و تتعلق بالمرسل .

_ الوظيفة الإفهامية : و تتعلق بالمرسل إليه .

_ الوظيفة الشعرية : و تكون متصلة بالرسالة .

_ الوظيفة الانتباهية : و تتصل بالقناة التي تمر منها الرسالة .

_ الوظيفة المعجمية : و تهتم بالعلاقات اللغوية .

_ الوظيفة الدلالية : و تتعلق بسياق الرسالة اللغوية .

_ الأسلوب التكويني : و تعني استعمال الفرد للطرق اللغوية استعمالا عقلانيا و السمات الأصلية للغة .

_ الأسلوب الوضعي : و تتزعمها المدرسة السويسرية و قد :

« اهتمت بدراسة الوقائع اللغوية و بمجموع السمات اللسانية الأصلية لكاتب من الكتاب أو لكتاب من الكتب » .[1]

_ الأسلوب التأثيري : و ينصب اهتمام هذه المدرسة على المتلقي و محاولة معرفة مدى تأثير نص ما عليه ، و ذلك من خلال رد فعل القارئ حوله .

[1] بيير جيرو ، الأسلوبية ، ترجمة : منذر عياشي ، ط2 ، دار الحاسوب للطباعة ، حلب ، سوريا ، 1994 ، ص 76 .

_ الأسلوب التعبيري : و يعرفها اللغويون بأنها : **« دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه »** .[1]

و قد تزعم هذا الاتجاه " شارل بالي " ، رائد الأسلوبية اللغوية الوصفية و الذي قام بالتفريق بين نوعين من الأسلوب :

_ الأول : و غايته التأثير في القارئ .

_ الثاني : و هدفه إيصال الفكرة إلى المتلقي بدقة و وضوح .

_ الأسلوب البنائي : و التي تعنى بالتحليل اللغوي لبنية النص ، و من رواد هذا الاتجاه " تشومسكي Chomsky " و الذي يؤكد على وجود جانبين لهذا الاتجاه " :

_ الأداء اللغوي : و يمثل البنية السطحية .

_ الكفاية اللغوية : و يمثل البنية العميقة . [2]

_ الأسلوب الإحصائي : و تدخل في مجال الدراسات اللسانية ، و يقوم أصحاب هذا الاتجاه بعرض تعريفين للأسلوب هما :

1 _ يعرف بكونه مفارقة départions ، أو انحراف dérations عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه معيار norme .

2 _ يرى بأن الأسلوب اختيار choice أو انتقاء selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية محددة بين قائمة من الاحتمالات لمعنى اللغة .[3]

---

[1] بيير جيرو ، الأسلوبية ، ص 73 .

[2] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية : الرؤية و التطبيق ، ص 46 .

[3] سعد مصلوح ، في النص الأدبي : دراسة أسلوبية إحصائية ، ط1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 1414 هـ - 1992 م ، ص 22 ، 23 .

_ الأسلوب التأصيلي : و أهم ميزة تميز هذا النوع كونه يقوم بطرح استفسارات و تساؤلات حول النص المدروس ، و من بين اتجاهات هذه الأسلوبية نجد : الأسلوبية النفسية ، الاجتماعية ، و الأدبية هذه الأخيرة التي تعنى بدراسة الأسلوب الأدبي سواء من الناحية الشكلية أو المعنوية ، و يهدف أصحاب هذا التوجه الأسلوبي إلى محاولة الكشف عن الخصائص الفنية و الجمالية للعمل الإبداعي ، و من أبرز رواده نجد : محمد عبد المطلب ، عبد السلام المسدي ، صلاح فضل ... و غيرهم من الباحثين الذين أثروا الحقل الأسلوبي بدراساتهم و أبحاثهم التي أسهمت في تطوير البحث في هذا المجال .

غير أن الشيء الذي يمكن أن نلاحظه على كل هذه الأنواع الأسلوبية هو أن جميعها تشترك في خاصية مميزة و هي اعتمادها على العلوم اللسانية و اللغوية ، هذه الأخيرة التي تعتبر اللبنة الأساسية التي يقوم عليها كل نوع من هذه الأنواع « **حيث كانت لنظريات دي سوسير و إسهامات جاكبسون و تصورات تشومسكي بعد ذلك أثر حاسم في في إثراء مسار الدراسة الأسلوبية** » .[1]

و هو الأمر الذي يكشف عن العلاقة الوطيدة التي تربط علم الأسلوب بالعلوم اللغوية و الدراسات اللسانية .

هذا فيما يخص الأسلوب – بصفة عامة – ، و سأحاول في العنصر الثاني من هذا الفصل التعرف على الأسلوب القرآني و أهم خصائصه و سماته المميزة .

[1] منذر عياشي ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص 43 .

2 – خصائص الأسلوب القرآني :

بالعودة إلى المعاجم العربية القديمة ، فالأسلوب يحمل معان مختلفة ، فهو يعبر عن الطريقة و المذهب و الفن أو طريقة المتكلم في الكلام . وهذا الأخير هو التعريف الذي يهمنا و هو الأصلح لموضوعنا و الأنسب – حسب تقديري – .

و الأسلوب القرآني هو طريقة النظم و الصياغة التي امتاز بها كلام الله عز و جل عن غيره من الكلام .

و من ثمة كان للقرآن الكريم أسلوبه الخاص الذي يميزه عن سائر الأساليب ، يقول مصطفى صادق الرافعي : « **إن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب و نثرهم في مطالعه و مقاطعه و فواصله ، أي فكأنه بدع من ترتيب الكلام لا أكثر** » .[1]

و يقول أيضا : « **و كان القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان و مذاهب النفس إليه** » .[2]

فهو فريد من نوعه من ناحية الأسلوب و المذهب الكلامي الخارج عن الكلام المألوف ، كما أنه أبلغ من أي كلام مهما بلغت فصاحته و بلاغته ، فهو يبقى عاجزا أمام الأسلوب القرآني .

يقول " الباقلاني " : « **إن نظم القرآن من تصرف وجوهه و اختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب ، و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، و له أسلوب يختص به و يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد** » .[3]

---

[1] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، 1424 هـ _ 2001 م ، ص 118 .

[2] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص 151 ، 152 .

[3] الباقلاني ، أبو بكر ، إعجاز القرآن ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، ت . أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ _ 1996 م ، ص 30 .

وهو بذلك كما سبق و أن ذكرنا و كما أشار إليه الدكتور " طه حسين " في كتابه حديث الشعر و النثر ؛ ليس شعرا لعدم تقيده بقيود الشعر التي نعرفها من أوزان و قوافي و عروض ، و لا بنثر ؛ وإنما هو مقيد بقيود خاصة به تميزه عن بقية الأغراض و الفنون الأخرى .

يقول " طه حسين " : « **فما هو شعر ولا هو سجع متكلف ملتزم ، و لا ازدواج متعمد دائم ، و لا نثر مرسل إرسال الحديث ، ولا خطابة طنانة متفيقهة ، و إنما هو نهج بديع من الكلام العذب المحكم ، البالغ الروعة في أدائه الشريف غاية الشرف في معانيه و مقاصده** » .[1]

و الحقيقة المقصودة هنا أن القرآن الكريم في أسلوبه و نظمه ليس على ضرب من هذه الضروب جميعا لاختلافه الواضح و الجلي عنها . فهو من ناحية ألفاظه و عباراته و قواعده و نحوه و صرفه مألوف للعادة ، ولم يخرج عما عهده العرب في كلامهم و ما جاؤوا به ، إلا أنه اجتمعت فيه من محاسن القول و مظاهر الروعة و الاتساق و الانسجام ما يجعل منه كلاما عجيبا مخالفا لجميع أصناف الكلام المعهود عند العرب .

يقول " الباقلاني " : « **و له من الأسلوب في اصطفاء العبارات و الألفاظ بل و الحروف ما يميزه تميزا ، و يجعله ذا طابع خاص متفرد ، و على غير النظم المعهود للعرب ، مع أن حروف القرآن في حروفهم ، و معانيه في خطابهم ، و ألفاظه من جنس كلماتهم** » .[2]

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد الله سبحانه و تعالى ينفي أن يكون هذا القرآن من كلام البشر أو أن يكون النبي الكريم – صلى الله عليه و سلم – شاعرا ؛ و إنما

---

[1] ينظر : طه حسين ، حديث الشعر و النثر ، ص 25 . نقلا عن : محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص 232 .

[2] الباقلاني ، أبو بكر ، إعجاز القرآن ، ص 34 ، 35 . و ينظر أيضا : عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 567 .

هو قرآن مبين من كلام الله عز و جل . قال تعالى : **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾** [1] .

و هو ما يجعله يتفرد و يتميز باسم القرآن الكريم .

قال سبحانه و تعالى : ﴿ **الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾** ﴾ [2].

و هي من أوضح الأدلة على استقلالية القرآن في نظمه و أسلوبه ، و على أنه ليس شعرا . فلو كان كذلك لتمكن العرب من معارضته و الإتيان بمثله لأنهم ضليعون في نظمه متمرسون في فنونه و أغراضه ، متحكمون بناصيته كل التحكم .

أما عمن يتوهم أن القرآن ضرب من السجع المنمق – و هو تصور باطل – فالسجع هو : الكلام المقفى أو هو موالاة الكلام على روي واحدة . أما القرآن فإنه على غير هذا النحو من الأسلوب و لا هيئة النظم ، بل إن له من الاستقلالية المميزة ما يجعله مختلفا عن السجع في صفاته و نظمه . ولو كان كذلك لما كان خارجا عن أساليب العرب و ضروبهم ؛ أما القرآن فيتخلله جمال الأسلوب و متانة العبارة ، و حلاوة الإيقاع ، و حسن التصوير ، و كذا كمال المعنى الذي يحمله كلام الله عز و جل .

فرغم نزول القرآن بلغة العرب و قدرتهم على فهمه و تذوقه ؛ إلا أنهم عجزوا عن الوصول إلى بلاغته المعجزة و فصاحته اللامتناهية فهو : « **أثر فريد و هندسة و نسب فنية تتحدى المقدرة المبدعة لدى الإنسان** » .[3]

فهو يعد بحق : « **أكمل نموذج استطاعت اللغة العربية أن تفصح عنه ، فليس به أدنى اختلال ؛ بل إن الاتساق البديع شامل لجميع نواحيه في روحه الجليل الغامر و في**

---

1 سورة يس الآية 69 .

2 سورة الحجر الآية 1 .

3 ينظر : مالك بن النبي ، الظاهرة القرآنية ، ص 182 . نقلا عن : محمد عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1980 ، ص 182 .

نذره الرائعة المؤثرة ، و في مشاهداته الباهرة ، و في حلاوة وعوده الفائقة ، و في فكرته المتشامخة ، و أخيرا في أسلوبه البهي المعجز » [1].

و خصائص الأسلوب القرآني كثيرة و يمكن أن نلخص أهمها في النقاط الآتية :

أولا – تآلف الألفاظ و المعاني :

وهي بمعنى ألا تكون ثمة ثغرة أو خلل بين اللفظ و معناه ، فتتآلف مع بعضها في نسق واحد ، يقول " جلال الدين السيوطي " : « **أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة ، أو جزلا فجزلة ، أو غريبا فغريبة ، أو متداولا فمتداولة ، أو متوسطا بين الغرابة و الاستعمال فكذلك** ».[2]

و هي بهذا المعنى أن تكون المعاني ملائمة لألفاظها ، و يمكن أن نمثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾** ﴾[3] .

فأتى الله عز و جل بجميع ألفاظ هذه الآية الكريمة متداولة لا غرابة فيها ، وكذا المعنى واضح و صريح .

و هو ما يجعل الألفاظ و المعاني في القرآن الكريم آية في الجاذبية ، تتجلى فيها كل معاني الاتساق و الانسجام و التلاحم و الترابط و التآلف على طريقة لا يمكن أن يرقى إليها كلام بشر مهما بلغ من درجات الإبداع الفني . و هي خاصية مستوفاة في جميع سور و آيات القرآن الكريم .

---

1 محمد عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن الكريم ، ص 49 .

2 السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، دار مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، د ت ، ص 423 .

3 سورة الأنعام الآية 109 .

ثانيا – مخاطبة العامة و الخاصة :

و هما غايتان متناقضتان ؛ بحيث يصعب جمعهما في نسق واحد . فليس ما يحتاجه العالم هو نفسه ما يحتاجه الجاهل ، و لا ما يطلبه الكبير هو نفس مطلب الصغير ، ولا ما تطلبه الجماعة هو ما يطلبه الفرد ، وليس هناك خطاب يستطيع أن يجمع بين هاتين الخاصيتين في موضع واحد سوى الخطاب القرآني .

و معنى هذه الخاصية ، أن القرآن الكريم إذا تلي على العامة شعروا بجلاله و أحسوا بعظمته و ذاقوا حلاوته ، و إذا قرئ على الخاصة استراحوا في ظلاله و استأنسوا به .

ثالثا – إرضاؤه للقلب و العقل معا :

فالله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز يخاطب العقول و يسوق لهم الأدلة المنطقية و يقنعهم بالحجج و البراهين العقلية ، كما أنه يخاطب قلوبهم فيؤثر في عواطفهم ، و يمتع أحاسيسهم ، و مثال ذلك في القرآن الكريم نجده في مثل قوله عز و جل : ﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾** ﴾.[1]

ففي هذه الآية الكريمة بيان صريح على جمع القرآن بين خطاب القلب و العقل في موضع واحد ، و بين الاستدلال المنطقي من ناحية و الإمتاع العاطفي من ناحية أخرى .

رابعا – جودة السبك :

فقد بلغ القرآن أعلى المراتب في ترابط مفرداته ، و تماسك جمله و عباراته، وانسجام ألفاظه و تنوع أغراضه و مقاصده فإنك لو تأملت أي سورة من سوره وجدتها وحدة متماسكة الأجزاء ، متآلفة الأوصال ، متلاحمة الأفكار . و مثال هذه الخاصية الأسلوبية في القرآن

[1] سورة فصلت الآية 39 .

الكريم قول الله سبحانه و تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ [1].

و في هاتين الآيتين الكريمتين يظهر للعيان قمة التآلف و التلاحم و الترابط .

« و هناك سمات أخرى لأسلوب القرآن منها أنه انفرد بطريقة فذة في الأداء النفسي الذي يقوم على رعاية مقتضيات الأحوال و الأداء ، حسبما يقضي بذلك تنوع الغرض و طبيعة الموقف » .[2]

خامسا – <u>البيان و التجميل</u> :

و هما أيضا غايتان متباعدتان إن لم نقل متعاكستان ، فإن أراد المتكلم تحديد الغرض من كلامه اتسعت تآويله و تفاسيره ؛ أي أنه أصبح يحتمل معان كثيرة و مختلفة ، و بذلك يصعب تحقيق المهمة الثانية و هي التجميل و تزيين الكلام و تحسينه و تجويده . فإن عمد إلى ذلك أي التجميل ذهب إلى اللبس والإبهام و هو ما يجعل الجمع بين هاتين الخاصيتين في موضع واحد شبه مستحيل إلا إذا جمعه الله سبحانه و تعالى في كلامه الجليل . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[3] .

ففي هذه الآية استطاع الأسلوب القرآني أن يجمع بين الفصاحة و البيان من جهة و بين الجمال الفني من جهة أخرى و هو ما لا يمكن أن يجتمع في أي خطاب آخر و هي خاصية أخرى من خواص الأسلوب القرآني التي تؤكد إعجازه و تفرده .

---

1 سورة الزمر الآية 27 ، 28 .

2 عبد الحكيم بلبح ، النثر الفني و أثر الجاحظ فيه ، المكتبة الآنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، 1955 ، ص 58 .

3 سورة البقرة الآية 91 .

كانت هذه أهم السمات و الخصائص التي استطاع جهدنا الإلمام بها غير أنه يمكن الجزم أن خصائص هذا الأسلوب لا يمكن بأي حال من الأحوال اختصاره في عدد من الصفحات .

أما العنصر الثالث من هذا الفصل فيتعلق بالإعجاز البياني في القرآن الكريم .

3 – الإعجاز البياني في القرآن الكريم :

لقد حظي موضوع الإعجاز القرآني بحظ وافر في الدراسات و الأبحاث ، و سأحاول في هذا العنصر من البحث الكشف عن أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

ولكن و قبل التطرق إلى هذا الموضوع لزم علينا معرفة معنى الإعجاز و المعجزة لغة و اصطلاحا و كذا على معنى القرآن الكريم لإفادتهما لنا في هذا العنصر .

أ – تعريف المعجزة لغة :

ورد في معجم **لسان العرب لابن منظور** أن المعجزة لفظة مشتقة من العجز ، إذ يقول : « **عجز عن الأمر عجزا فيهما و رجل عجز و عاجز . يقول سيبويه : و هو المعجز و المعجز ، الكسر على النادر و الفتح على القياس لأنه مصدر و العجز الضعف . تقول عجزت عن كذا أعجز و العجز عدم القدرة ، و في الحديث كل شيء بقدر حتى العجز و الكيس*** ». [1]

ثم يقول : « **و معنى الإعجاز الفوت و السبق ، يقال أعجزني فلان أي فاتني قال الليث : أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه و إدراكه** » .[2]

« **و العجز أصله التأخر عن الشيء ، و حصوله عن عجز الأمر أي مؤخره ، و صار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء و هو ضد القدرة** ».[3]

و أعجزت فلانا و أعجزته جعلته عاجزا .

---

* العجز و الكيس : بلادة الذهن و فطنته .

1 ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ت . خالد رشيد القاضي ، دار الصبح ، بيروت ، لبنان ، (مادة عجز) ، ج 9 ، 1427 هـ _ 2006 م ، ص 54 .

2 المصدر نفسه ، ص 55 .

3 الراغب الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ط 1 ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، ، القاهرة ، مصر ، 1433 هـ _ 2012 م ، ص 354 .

قال الله تبارك و تعالى : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢ ﴾ .[1]

اصطلاحا : المعجزة كما يعرفها " محمد الصالح الصديق " : « **أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة ، يجريه الله تعالى على يد أنبيائه مقرونا بالتحدي و دعوى الرسالة** » .[2]

و هي بهذا المعنى خروج عن المألوف و المعهود من سنن الطبيعة ، أي أن تكون فوق قدرة البشر و طاقتهم ، فلا يستطيعون الإتيان بمثلها . بحيث لو أمكن ذلك لما كانت معجزة . وهي تنقسم إلى :

معجزة حسية :

و هي ما كانت مادية ملموسة كأن ترى بالعين ، أو تسمع بالأذن . كما حدث مع النبي إبراهيم عليه السلام حينما نجاه الله تعالى من التحريق بالنار على مرأى من الناس

و كذا معجزة عصا سيدنا موسى عليه السلام التي تحولت إلى أفعى ، و خروج الماء من الصخر عقب ضربه بالعصا ، فهي معجزة حسية حدثت أمام أعين الناس و أسماعهم ، و قد جعل الله من معجزات أنبيائه حسية تماشيا مع ذهنية تلك الأمم التي لم تكن تؤمن إلا بكل ما هو ملموس .

معجزة ذهنية : و يراد بها « **ما يكون به الشعور بالظواهر النفسية و يطلق أيضا على التفكير و قوانينه أو مجرد الاستعداد للإدراك** » .[3]

---

1 سورة التوبة الآية 2 .

2 محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص 237 .

3 ينظر : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 317 . نقلا عن : أمير عبد العزيز ، إعجاز القرآن ، ط 1 ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2007 ، ص 12 .

فقد أوتي العرب من الفطنة و الحنكة و النباهة ، و سموهم عن أسباب الفهم الثقيل ما يجعلهم قادرين على استلهام معاني هذه المعجزة **– معجزة القرآن –** ، و ذلك لأنها تخاطب الإنسان بكل ما فيه من روح و عقل و عاطفة ، و هو ما يجعلها أكبر المعجزات .

ب – تعريف القرآن :

لقد اختلف العلماء و اللغويون حول لفظ القرآن ، و اختلفت آراؤهم فيه ، و قد ذهب فريق منهم إلى أنه مشتق من الفعل قرأ بمعنى " جمع " ، و ذلك لأن سوره جمعت بعضها ببعض .

غير أن ما يهمنا فعلا من إيراد معنى القرآن الكريم هو المفهوم الاصطلاحي ، و هو كما عرفه جمهور العلماء : « **كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم ، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز و لو بأقصر سورة منه** » [1].

– و هو بهذا المعنى كلام الله تعالى : و ليس بكلام الملائكة أو الإنس أو الجن أو غيره من المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ **قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا** ﴿١٠٩﴾ ﴾ [2].

– المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم : فقد خصه الله به الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء ليكون خاتمة كل الكتب .

– المنقول بالتواتر : فقد نقله جمع كبير من الناس جيلا بعد جيل بحيث يستحيل تواطؤهم أو اتفاقهم على الكذب ، و هي خاصية تميز بها القرآن الكريم عما سواه من الكتب السماوية السابقة .

---

[1] محمد الدراجي ، مباحث في علوم القرآن ، ط 1 ، دار قرطبة ، المحمدية ، الجزائر ، 1431 هـ _ 2010 م ، ص 19 .

[2] سورة الكهف الآية 109 .

– و من أهم خصائص هذا الكتاب العزيز : الإعجاز.

و المراد بالإعجاز : « **ارتقاؤه في البلاغة إلى حد خارج عن طوق البشر و لهذا عجزوا عن معارضته عند تحديهم** » .[1]

قال سبحانه و تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾** ﴾ .[2]

و إعجاز القرآن هو الدليل الواضح و الصريح على صدق الرسالة المحمدية و نبوته ، و أن هذا الكلام إنما هو كلام القوي المتين ، و هو ما يدخلنا مباشرة إلى عنصر جوهري من هذا البحث و هو الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

و نظرا لأهمية هذا الموضوع ، فقد أولاه العلماء و الباحثون عناية خاصة ، فألفوا فيه العديد من الكتب و المؤلفات ، يمكن أن أذكر منها : دلائل الإعجاز لـ : عبد القاهر الجرجاني ، إعجاز القرآن لـ : أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن لـ : مصطفى صادق الرافعي ، و معجزة القرآن لـ : محمد متولي الشعراوي ، و غيرها من المؤلفات التي صدرت حول هذا الموضوع .

ج – <u>أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم</u> :

يقول أبو بكر القاضي حول قضية الإعجاز القرآني : « **وجه إعجازه ما فيه من النظم و التأليف و الترصيف ، و أنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، و مباين لأساليب خطاباتهم** » .[3]

---

[1] ينظر الشوكاني ، إرشاد الفحول ، دار المعرفة ، ص 30 . نقلا عن : محمد الدراجي ، مباحث في علوم القرآن ، ص 22 .

[2] سورة الإسراء الآية 88 .

[3] السيوطي ، عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 467 .

و يقول " حازم القرطاجني " في كتابه " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " : « **وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة و البلاغة فيه من جميع أنحائها** » .[1]

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ .[2]

و قال أيضا : ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٨ ﴾ .[3]

و يقول أيضا عز و جل : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ ﴾ .[4]

و كلها أدلة صريحة على أن القرآن الكريم له من الفصاحة و البلاغة و البيان أعلى المراتب ، و جمع وجوه الحسن ما لم يحوه أي كلام و هو ما يؤكده الباقلاني في قوله : « **فالقرآن أعلى منازل البيان ، و أعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن و أسبابه و طرقه أبواب من تعديل النظم و سلامته و حسنه و بهجته ...**» .[5]

و يبين " الخطابي " في كتابه رسائل في إعجاز القرآن أن إعجاز القرآن يقع في نظمه و تأليفه ، حيث يقول : « **و لم يقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام ، دون ما يتضمنه من ودائعه التي هي معانيه و ملابسه التي هي نظوم تأليفه** » .[6]

---

[1] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1408 هـ _ 1988 م ، ج 2 ، ص 101 .

[2] سورة الرحمن الآيات 1 _ 4 .

[3] سورة آل عمران الآية 138 .

[4] سورة الشعراء الآية 195 .

[5] الباقلاني ، أبي بكر ، إعجاز القرآن ، ص 173 .

[6] الخطابي ، رسائل في إعجاز القرآن ، ت . خلف الله محمد ، دار المعارف ، مصر ، 1956 ، ص 36 . نقلا عن : قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، ص 470 .

أما الإمام " الزركشي " فيرى أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم إنما يقع في فصاحته و خلو أسلوبه من العيوب ، حيث يقول :

« وجه الإعجاز الفصاحة و غرابة الأسلوب و السلامة من العيوب » .[1]

و يورد " عبد القاهر الجرجاني " في كتابه " دلائل الإعجاز" حديثا مرويا عن النبي صلى الله عليه و سلم يبين فيه وجه الإعجاز من القرآن الكريم ، و الذي يقع في ألفاظه و معانيه و حسن بيانه حيث يقول :

« و حجتي أن الله قد أنزل علي كتابا عربيا مبينا تعرفون ألفاظه و تفهمون معانيه ، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا مثله ولا بعشر سور منه ، و لا بسورة واحدة ولو جهدتم جهدكم و اجتمع معكم الإنس و الجن » . [2]

و هو يرى أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم لا يقع في نظمه إنما يقع في معاني القرآن التي لا يستطيعون الإتيان مثلها ، إذ يقول :

« فلعل العجز الذي ظهر فيهم من معارضة القرآن لم يظهر لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم و لكن لأنهم لا يستطيعون في مثل معاني القرآن » .[3]

و في موضع آخر يقول :

«.. و أن يكون قد ضاق عليهم في الجملة مجال قد كان يتسع لهم و نضبت عنهم مواد قد كانت تغزر و خذلتهم قوى قد كانوا يصولون بها »[4] .

---

1 الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ص 98 .

2 عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة الأسرة ، مصر ، 1404 هـ – 1984 م ، ص 579 .

3 عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 602 .

4 المصدر نفسه ، ص 611 .

فالعرب أهل فصاحة و بيان ، و لهم من حسن النظم و جودة السبك و روعة الإيقاع ما لم يعرفه أحد قبلهم ، غير أن مجيء القرآن الكريم بنفس لغتهم ، وعدم قدرتهم على مضاهاته و مجابهته هو ما لم يستصيغوه .

و هو نفس المنحى الذي نحاه " الرماني " حين قال : « **و ظهور الإعجاز في الوجوه التي نبينها يكون باجتماع أمور يظهر بها النفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة ، وإن كان يلتبس فيما قل بما حسن به جدا لإيجازه و حسن رونقه ، و عذوبة لفظه و حسن معناه** » .[1]

و يقول " سيد أحمد الهاشمي " : « **إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك و حسن الوصف ، و براعة التراكيب و لطف الإعجاز ، الذي اشتمل عليه من سهولة التركيب ، و جزالة الكلمات (...) و الثانية الوقوف على أسرار البلاغة و الفصاحة ، في منثور كلام العرب و منظومه كي تحتذي حذوه و تنسج على منواله ، و تفرق بين جيد الكلام و رديئه** » .[2]

فأصل الإعجاز القرآني _ حسبه _ إنما يقع في معاني القرآن الكريم ، و هو ما يميزه عن غيره من الكلام ، و الذي يجعله مثالا يحتذى به .

أما الدكتور أمير عبد العزيز فيذهب إلى أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم إنما يقع في نظمه و معانيه و ألفاظه يقول : « **وجه التحدي في القرآن إنما هو في نظمه و صحة معانيه و توالي فصاحة ألفاظه** » .[3]

و يذهب مصطفى صادق الرافعي إلى القول : « **إن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب و نثرهم في مطالعه و مقاطعه**

---

[1] قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، – معالمه و أعلامه – ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، 2003 ص 456 .

[2] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني ، البيان ، البديع ، شركة القدس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2009 م ، ص 47 .

[3] أمير عبد العزيز ، إعجاز القرآن ، ص 45 .

و فواصله ؛ أي فكأنه بدع من ترتيب الكلام لا أكثر » .[1]

أما الدكتور فايز الترحيني فيقول : « **تشمل دلائل إعجاز القرآن فيما تشمل : حسن تأليفه و التئام كلمه ، بالإضافة إلى فصاحته و بلاغته و وجوه إيجازه و دلالته المتعددة الوجوه التي لم يمط اللثام عنها بعد ، خصوصا أن القرآن الكريم نزل في أمة العرب التي خصت بالبلاغة و ذرابة اللسان . فما راعها إلا كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، فأحكمت آياته و فصلت كلماته ، و بهرت بلاغته العقول ، و تضافر إيجازه و إعجازه ، و تظاهرت حقيقته و مجازه ، و اعتدل مع إيجازه حسن نظمه ، و انطبق على كثرة فوائده مختار لفظه** » .[2]

هذا فيما يخص آراء العلماء حول قضية الإعجاز القرآني ، أما فيما يتعلق بأوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم فيمكن أن أعرض في هذا الجزء جملة من الحقائق و الخصائص التي لا يمكن أن تجتمع إلا في كلام ككلام الله عز و جل و هي :

الإيجاز و البلاغة :

يعرف " الرماني " البلاغة بقوله : « **إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ** » .[3]

و يعرف الإيجاز بقوله : « **الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال** » .[4]

فقد جاء القرآن الكريم في غاية من الإيجاز في الآيات و العبارات ، مع قمة الرصانة و المتانة وقوة التعبير و حلاوة النظم و كمال المعنى . وقد حمل هذا الكتاب بين دفتيه قضايا سياسية و اجتماعية ، و عرض قصص الأنبياء و المرسلين ، وقدم أيضا دروس ومواعظ ، و كل ذلك في تلاحم و ترابط كبيرين اجتمعت فيه كل ملامح الجزالة و البلاغة

1 مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، ص 118 .

2 فايز الترحيني ، الإسلام و الشعر ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 50 .

3 قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، ص 451 .

4 المصدر نفسه ، ص 452 .

والإيجاز. و هي خاصية مميزة في القرآن الكريم ، و يستحيل إيجادها في كلام آخر غير كلام الله جل و علا .

و يمكن أن نمثل لهذه الخاصية بسورة مكية قصيرة ، تعبر عن نزول القرآن في ليلة مقدسة من أعظم و أجل ليلة ، تعدل في قدرها و جزالة الثواب فيها ألف ليلة ، و ذلك لما فيها من عظيم الأحداث التي تتجلى فيها الرحمة من الله و السلام الذي يغشى المؤمنين ، إلى غير ذلك من أحداث و وقائع هذه السورة البالغة القصر و الإيجاز في عبارات موحية ، تتزاحم فيها أجل المعاني قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ .[1]

أما إيجاز الآيات و العبارات في هذا الكتاب الحكيم ، فلا يمكن أن تجد له نظيرا في كلم شاعر فذ ، أو خطيب مصقع ، أو إمام بيان ، فما من إيجاز يضاهي إيجاز القرآن ، و يمكن أن نورد في ذلك نماذج من الآيات التي تحوي من جليل المعاني و جزيلها ما ينطق بالدلالة القطعية على أن هذا القرآن إنما هو من عند الله و أنه معجزة الله في الأرض . قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥ ﴾ .[2]

إنها كلمات محدودة المبنى ، ممدودة المضمون و المعنى تلاءمت فيما بينها في آية قصيرة موجزة إيجازا رصينا متقنا ، يحمل معان عميقة متسقة و مترابطة الأوصال و الأجزاء

[1] سورة القدر الآيات 1 _ 5 .

[2] سورة الأنعام الآية 95 .

إن هذا الإيجاز هو سمة مميزة من سمات القرآن الكريم و هي خاصية لا يمكن أن يكون لها نظير في ضروب الكلم ، كما لا يمكن أن يكون ثمة إيجاز على هذا النحو من البشر .

الأسلوب و النظم : و هو أعظم وجه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، لأنه السمة التي تجمع بين كل سور و آيات القرآن .

و قد اجتهد العلماء قديما و حديثا عربا و عجما في تتبع خصائص هذا الأسلوب التي بلغ بها القرآن الذروة في البلاغة و البيان ، و التي نذكر منها :

- اتساق الألفاظ و المعاني .
- إرضاؤه العام و الخاص .
- إرضاؤه للعقل و العاطفة .
- جودة السبك .

و خصائص الأسلوب القرآني كثيرة و قد سبق و أن تطرقت إليها في عنصر سابق من البحث ، وقد حاولت فيه شرحها و تفصيلها قدر الإمكان .

البيان و الفصاحة : و البيان هو الدلالة على المعنى الخفي ، أما الفصاحة فهي شديدة الالتصاق بالبيان في مفهومها ، و هي تعني الوضوح في المعنى ، و سلامة الألفاظ من الإبهام و الغموض و التعقيد .

وهما (البيان و الفصاحة) مقياس مهم من مقاييس نجاعة اللغة و سلامتها لما فيهما من دلالة للمعاني المستورة ، و لولاهما لظلت المعاني خفية ، فتقل بذلك الفائدة المرجوة منها و هي التبليغ و الإفصاح عن المقاصد .

و القرآن الكريم في غاية الفصاحة من الكلام و استبانته ، و ذلك لما يتجلى فيه من خصائص البلاغة و الوضوح و قوة العبارة ، بما يكشف عن المعنى المقصود ، و يمكن أن

نمثل لفصاحة القرآن الكريم بنماذج من قوله تعالى : ﴿ **وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾** ﴾ [1] .

و الله سبحانه و تعالى في هذه الآية الجليلة يصف هول يوم القيامة وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ، « أي أنك تظنها باقية على حالها المعهودة ، و قد بلغت منها الشدائد و الأهوال كل مبلغ ،وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ ثم تتفتت و تضمحل فتصير هباء منبثا . و لهذا يقول من خفتها و شدة الخوف صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ فيجازيكم بأعمالكم ». [2]

مثل هذه المعاني الجليلة التي تعرضت لها الآية الكريمة في فصاحة متناهية هي فصاحة القرآن الكريم لا يمكن إطلاقا أن تجد لها مثيلا ، يقول " عبد القاهر الجرجاني " : « **إنها خصوصية في نظم الكلم ، و ضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة أو وجوه تظهر بها الفائدة** » .[3]

فكمال الفصاحة في القرآن تكشف عنها مثل هذه النماذج التي قدمناها و التي يراد من ورائها التدليل على أن القرآن هو معجزة الله في الأرض ، و أنه لا طاقة لمخلوق على مضاهاته ، و أنه سيبقى معجزة البشرية على مر الزمان .

---

1 سورة النمل الآية 88 .

2 عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط 1 ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، مصر ، 1420 هـ _ 2000 م ، (تفسير سورة النمل) ، ص 610 .

3 الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 36 .

كانت هذه أهم وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم و التي استطاع هذا البحث استخلاصها .

و سأعرض في العنصر القادم من هذا الفصل أمثلة عن الأساليب القرآنية ، و التي تنوعت بين الخبر و الإنشاء ، الحقيقة و المجاز ، التوكيد و التكرار و غيرها من الأساليب التي سأحاول الغوص فيها قدر المستطاع مع تقديم أمثلة و نماذج من القرآن الكريم عن كل أسلوب ، و التعريف بكل واحد منها على حدة .

4 – أمثلة عن الأساليب القرآنية :

لقد تنوعت الأساليب الواردة في النص القرآني و اختلفت باختلاف الأغراض ، و هي كثيرة في القرآن الكريم ؛ بحيث يصعب إن لم نقل يستحيل جمعها جملة واحدة ، و سأطرح في هذا العنصر أهم هذه الأساليب و أكثرها سيطرة و حضورا في النص القرآني .

أ – الأساليب الخبرية و الإنشائية :

الخبر :

ورد تعريف الخبر في المعاجم العربية بأنه العلم بالأشياء ، و قيل : « **الخبرة المعرفة بمواطن الأمر ، و الخبار و الخبراء الأرض اللينة ، و الخبير الأكار فيه** » .[1]

قال تعالى : ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .[2]

هذا من الناحية اللغوية ، أما من الناحية الاصطلاحية فيقصد به : « **إفادة المخاطب** ».[3]

و قدم " عبد القاهر الجرجاني " تعريفا للخبر بأنه : « **معان ينشؤها الإنسان في نفسه ، و يصرفها في فكره ، و يناجي بها قلبه ، و يراجع فيها لبه** » .[4]

أما " الجاحظ " فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام : « **فهناك خبر صادق و هناك خبر**

---

1 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 157 .

2 سورة آل عمران الآية 153 .

3 السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 406 .

4 الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 545 .

كاذب ، و الثالث لا يوصف بالصدق و الكذب » .[1]

من كل التعاريف السابقة نخلص إلى نتيجة و هي أن الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب ، و يمكنك أن تصف صاحبه بالصدق إن كان كلامه مطابقا للواقع ، أو الكذب إذا كان العكس ، و هو يأتي على غرضين و هما : **إفادة المخاطب (فائدة الخبر) ، و لازم الفائدة .** [2]

و يمكن أن نمثل لهذا الأسلوب من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ ۞ **وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ** ﴾ [3]. و غرضه هنا إفادة المخاطب .

و يقول أيضا في موضع آخر : ﴿ **لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩** ﴾ [4]

و قد جاء هنا بمعنى النفي ، و هو غرض غير حقيقي ، و الغرض الحقيقي من ورائه أن الله سبحانه و تعالى يؤكد على حرمة حمل كتابه على غير المتطهرين .

و يمكن أن يرد بمعنى التهديد و الوعيد نحو قوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣** ﴾[5] .

---

[1] حسن فضل عباس ، القصص القرآني : إيحاؤه و نفحاته ، ط1 ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، 1987 ، ص 104.

[2] شكور جورج ، كتاب البيان : الموجز في البيان و العروض مع مختارات أدبية ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1992 م ، ص 49 .

[3] سورة البقرة ، الآية 233 .

[4] سورة الواقعة الآية 79 .

[5] سورة فصلت الآية 53 .

و في هذه الآية الكريمة يتوعد الله سبحانه و تعالى المكذبين بالقرآن الكريم بأنه سيريهم آياته في الآفاق ، كالآيات التي في السماوات و في الأرض ، و يخبرهم عما سيحدثه الله تعالى من حوادث عظيمة تؤكد على أنه الحق من عند الله [1]. أما الغرض هنا فهو لازم الفائدة .

و قوله في سورة آل عمران : ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ ﴾ .[2]

و هنا يخبرنا الله سبحانه و تعالى أن من يكذب بالله تعالى و بآياته يحتمل أن يريد الآيات المتلوة و يحتمل أن يريد الآيات الدالة على الوحدانية [3] . أن مصيره سيكون كمصير آل فرعون و من سبقهم من الأمم و الأقوام الذين كذبوا بالله و رسله و أنبيائه من قبل . و فيه إخبار من الله جل و علا عن نهاية المكذبين و الكافرين بآيات الله .

و يقول عز و جل في نفس السورة دائما : ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨ ﴾ .[4]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : « **ما قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى و مبدأ ميلاده و كيفية أمره هو مما قاله تعالى و أوحاه إليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه ولا شك** » .[5] و فيه تقرير عن عظمة الله و قدرته على عباده .

---

[1] بن ناصر السعدي ، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان – تفسير سورة فصلت – ، ص 752 .

[2] سورة آل عمران الآية 11 .

[3] ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، د ط ، ت : محمد بنيس ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ ، ص 343 .

[4] سورة آل عمران الآية 58 .

[5] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص 356 .

و قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ .[1] و في هذه الآية الكريمة تهديد و وعيد من الله تعالى للظالمين أن لهم عذاب شديد ، و أن الله ليس بغافل عما يفعله الظالمون .

و نمثل له بقوله تعالى أيضا في سورة الرعد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾. [2]

و فيها إخبار من الله تعالى على انفراده بالخلق و التدبير و العظمة و السلطان الدال على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له . فهو الذي رفع السماوات باتساعها و عظمتها بقدرته ، بغير عمد ، و سخر الشمس و القمر لمصالح العباد و مواشيهم و ثمارهم ، ثم استوى على سرير الملك يدير الأمور في العالمين العلوي و السفلي . فلعلكم بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية و القرآنية بلقاء ربكم تؤمنون [3]. و غرضه دائما لازم الفائدة .

[1] سورة الشعراء الآية 227 .

[2] سورة الرعد الآية 2 .

[3] بن ناصر السعدي ، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان – تفسير سورة الرعد – ، ص 412

- **الإنشاء** :

اصطلاحا هو : « **مالا يحصل مضمونه و لا يتحقق إلا إذا تلفظت به** » .[1] أو هو : « **ما لا يحتمل التصديق أو التكذيب** » [2].

و هو بذلك عكس الخبر ؛ بحيث لا يمكنك أن تصف صاحبه بالصدق أو الكذب ، و هو يأتي على أوجه و أغراض منها :

ـ **النهي** : **و هو طلب الكف عن فعل الشيء . و يأتي بصيغة " لا تفعل "** [3] ، و هو على نوعين حقيقي و غير حقيقي .

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴿١٦٩﴾ ﴾ [4].

و فيها بيان على أن الشهداء لم يموتوا بل إنهم أحياء ، يتمتعون في دار الخلد التي هي أجل و أعظم من هذه الدار .

و في موضع آخر يقول : ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا** ﴿٣٧﴾ ﴾ [5].

و من أقسام الإنشاء أيضا :

ـ **الأمر** : **و هو طلب فعل غير الكف و صيغته : " افعل "** .[6]

---

1 السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني ، البيان ، البديع ، ص 53 .

2 شكور جورج ، كتاب البيان ، ص 49 .

3 السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 414 .

4 سورة آل عمران ، الآية 169 .

5 سورة الإسراء الآية 37 .

6 السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 414 .

و أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1].

فقد أمر الله سبحانه و تعالى في هذه الآية الكريمة بإقامة الصلاة ، أي ظاهرا و باطنا ، وإيتاء الزكاة لمستحقيها ، و الصلاة مع المصلين .

و من أمثلته أيضا ، قول الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [2] .

فقد أمر الله تعالى اليهود بتلاوة ما جاء في التوراة من آيات حتى يكفوا عن ظلمهم و عنادهم لله سبحانه و تعالى و نبيه الكريم .

و في موضع آخر يقول : ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3].

و فيها يأمر الله سبحانه و تعالى إبليس بأن يخرج من رحمته لأنه رجيم ملعون .

ـ **<u>النداء</u> : هو طلب إقبال المدعو على الداعي** [4].

نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [5].

---

1 سورة البقرة الآية 43 .

2 سورة آل عمران الآية 93 .

3 سورة الحجر الآية 34 .

4 السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 415 .

5 سورة البقرة الآية 21 .

و مثاله أيضا في مثل قوله : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1].

و قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [2].

و الآية الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾[3] .

و يقول أيضا في سورة يوسف : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [4].

و قوله تعالى في نفس السورة الكريمة : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [5].

و قوله في سورة يوسف دائما : ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [6] .

---

1 سورة الزمر الآية 16 .
2 سورة المدثر الآية 1 .
3 سورة المزمل الآية 1 .
4 سورة يوسف الآية 4 .
5 سورة يوسف الآية 11 .
6 سورة يوسف الآية 5 .

ـ **الاستفهام** :

و يعني طلب الفهم ، و يطلب به العلم بشيء مجهول ، و غرضه الأصلي طلب المعرفة ، و قد يخرج إلى أغراض أخرى مثل : التشويق ، الإنكار ، التقرير ، التمني ، التهويل و التعظيم ، التوبيخ ، النفي ، التحقير ، التعجب ، الاستبعاد ، التحسر و التوجع ، التقريع ... و غيرها من الأغراض . [1]

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ ﴾[2] .

و جاء الاستفهام هنا بغرض تشويق المخاطب إلى أمر ما . و أداة الاستفهام هي : " هل ".

و قوله أيضا : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3].

و غرضه هنا الإنكار أما الأداة فهي : " الهمزة " .(أتامرون ، أفلا) .

و نحو قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4].

---

[1] محمود يوسف عبد الكريم ، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم : غرضه و إعرابه ، ط1 ، مطبعة الشام ، 1421 هـ – 2000 م ، دمشق ، سوريا ، ص 8 .

[2] سورة الصف الآية 10 .

[3] سورة البقرة الآية 44 .

[4] سورة الزمر الآية 36 .

و قوله في نفس السورة دائما و في الآية التي تليها : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.[1]

و قد أتى هنا بغرض التقرير ، أما الأداة فقد استعمل " الهمزة " في كلا الموضعين.

و في سورة البقرة يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [2]

و قد استعمل هنا أداة الاستفهام " الهمزة " .

و في مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ [3].

و استعمل الله سبحانه و تعالى في هذا الموضع الأداة " أنى " ، بمعنى كيف .

و في سورة الكهف يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ

[1] سورة الزمر الآية 37 .

[2] سورة البقرة الآية 260 .

[3] سورة مريم الآية 8 .

فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [1].

واستعمل الأداة " كم " للدلالة على العدد .

و أمثلة الاستفهام في القرآن الكريم كثيرة و أغراضه متنوعة ولا يسمح لنا المجال بذكرها جميعا .

ـ **التمني : و هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة** [2].

و مثاله في سورة الأنعام : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] .

و في مثل قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [4].

و قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ [5].

و مثاله في قوله سبحانه في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [6].

---

1 سورة الكهف الآية 19 .

2 جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 415 .

3 سورة الأنعام الآية 27 .

4 سورة يس الآية 26 .

5 سورة النساء الآية 73 .

6 سورة غافر الآية 36 .

هذا فيما يخص أسلوب التمني في القرآن الكريم ، و يمكن الإشارة إلى أنه هناك أساليب و أقسام أخرى من الأساليب الإنشائية منها : أسلوب الترجي ، القسم ، و غيرها من الأساليب التي لا يسعنا ذكرها جميعا .

كانت هذه أهم الأمثلة التي استطعت استخلاصها و استنتاجها فيما يخص الخبر والإنشاء في القرآن الكريم ، و سأقدم في الجزء الثاني من هذا العنصر أمثلة عن أسلوب آخر من الأساليب القرآنية و هو : أسلوب الحقيقة و المجاز .

ب ـ الحقيقة و المجاز في القرآن الكريم :

الحقيقة :

في القواميس اللغوية « **تستعمل تارة في الشيء الذي له إثبات و وجود ، وتارة تستعمل في الاعتقاد و تارة في العمل و القول** » [1].

قال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2].

وقال أيضا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3].

أما اصطلاحا فيعرفها " الزركشي " قائلا : « **هي كل كلام بقي على موضوعه كالآيات التي لم يتجوز فيها ، وهي الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى و توحيده و تنزيهه و الداعية إلى أسمائه و صفاته** » [4].

و هو ما ذهب إليه " السيوطي " في تعريفه للحقيقة بقوله : « **هي كل لفظ بقي على موضوعه لا تقديم فيه و لا تأخير** »[5].

أما " الشوكاني " فيعرفها بقوله : « **هي اللفظ المستعمل في المعنى الذي وضع له سواء أكان الوضع لغويا أم شرعيا أم عرفيا** » [6].

---

1 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 139 ، 140 .

2 سورة يونس الآية 32 .

3 سورة التوبة الآية 33 .

4 الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص 254 .

5 السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 347 .

6 ينظر : الشوكاني ، إرشاد الفحول ، ص 28 . نقلا عن : محمد الدراجي ، مباحث في علوم القرآن ، ص 225 .

و هو بذلك يقسم الحقيقة إلى ثلاثة أنواع و هي : الحقيقة اللغوية ، الحقيقة الشرعية ، و الحقيقة العرفية .

أما السيد أحمد الهاشمي فيقسمها إلى خمسة أنواع ، و يضيف إلى الأنواع الثلاثة السابقة : **الحقيقة الاصطلاحية الخاصة ، و الحقيقة الاصطلاحية العامة** . [1]

و يمكن أن نمثل لها من القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحشر : ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾** ﴾ [2].

و في الآية الكريمة إظهار لحقيقة أن الله تعالى متفرد في الربوبية لا شريك له و أنه يعلم الغيب و ما يخفى .

و نجدها في قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾** ﴾[3] .

و فيها دليل صريح و واضح أن من خلق السماوات و الأرض و الشمس و القمر و النجوم ، و من على عباده بإنزال المطر ليكون به البساتين و الحدائق و الشجر و الثمر ، فعل كل هذا من أجل أن يشرك به و يعبد معه ؟ بل هم قوم يعدلون و يسوون به سواه من المخلوقات و الكائنات ، مع علمهم أنه وحده الخالق و منزل الرزق . [4]

---

1 السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 186 .

2 سورة الحشر الآية 22 .

3 سورة النمل الآية 60 .

4 بن ناصر السعدي ، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن – تفسير سورة النمل – ص 607 .

و نحو قوله تعالى في سورة يس : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[1] .

و يظهر للعيان من خلال هذه الآية الكريمة أن الله أورد استفهاما بغرض الإنكار ؛ أي إنكار أن يستطيع أحد أن يحيي العظام بعدما بليت و تلاشت إلا أن الله سبحانه و تعالى قادر على كل شيء .

و نضرب لها مثلا في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

و في هذه الآية يدعو الله جل و علا عباده للإنابة إليه و توحيده و عبادته بما يسره لهم من الحرث للزرع و الثمار .[3]

و تعتبر الحقيقة أكثر الكلام في القرآن الكريم .

- **المجاز** :

لغة مشتقة من الجوز أي تجاوز جوزه و جوز الطريق وسطه ، و جوز السماء وسطها ، وجزت المكان ذهبت فيه و أجزته أنفذته و خلفته .[4]

أما المجاز فهو مقام الجواز ، يقول " الزركشي " : « **مأخذه مصدر جزت مجازا كما يقال قمت مقاما** »[5] .

أما في الاصطلاح فهو : « **وضع اللفظ في غير موضعه الأصلي مع وجود قرينة تمنع**

---

1 سورة يس الآية 78 .

2 سورة الواقعة الآية 63 .

3 بن ناصر السعدي ، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن – تفسير سورة الواقعة – ص 835 .

4 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ص 114 .

5 الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص 256 .

وضع اللفظ الأصلي » . [1]

و يعرفه " الجرجاني " قائلا : « **أن يجيء بالكلام مصنوعا ، و أن يضعه بعيد المرام قريبا من الأفهام** »[2] .

و هو ينقسم إلى قسمين : مجاز عقلي ، و مجاز لغوي ، و يقول " ابن الأثير" عن المجاز: « **فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة و البلاغة ، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل ، أولى من حيث هي فرع عليها...**» [3].

و الأمثلة على المجاز كثيرة في القرآن الكريم ، و يمكن أن نورد نماذج منها في مثل قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [4].

فالدعاء من النار مجاز و نوعه عقلي .

و في سورة البقرة يقول : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[5] .

أي فما دونها ، و نوعه مجاز عقلي كذلك .

1 محمد الدراجي ، مباحث في علوم القرآن ، ص 229 .
2 الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 259 .
3 شكور جورج ، كتاب البيان ، ص 67 .
4 سورة المعارج الآية 15 ، 16 .
5 سورة البقرة الآية 26 .

و يقول في نفس السورة دائما : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1].

و في هذه الآية تغيير لمدلول الاستفهام ، فالملائكة لم تستفهم ربها و الغرض من ورائه التقرير ، و هو مجاز عقلي .

و قوله أيضا : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ [2]. و هو أيضا مجاز عقلي .

و كذا في قوله عز و جل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [3].

و نوعه مجاز عقلي كذلك ، حيث نسبت الزيادة إلى الآيات لأنها السبب فيها .

و قوله أيضا : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4].

و هو أيضا مجاز عقلي لأن الأمر هو المعزوم عليه .

---

1 سورة البقرة الآية .

2 سورة محمد الآية 4 .

3 سورة الأنفال الآية 2 .

4 سورة محمد الآية 23 .

و نحو قوله سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1].

نسب فعل النزع إلى إبليس لأنه سبب أكلهما من الشجرة و هو مجاز عقلي كذلك .

أما المجاز اللغوي فنجده في مثل قوله تعالى :

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [2].

﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [3].

و الفعل " قتل " في هاتين الآيتين و في مواضع أخرى من القرآن الكريم مجاز لغوي لأنه بمعنى : غلبه و قهره و أذله الله . و أمثلته كثيرة أيضا من القرآن الكريم .

كما يمكن أن نجد في بعض الأساليب القرآنية ما يجمع بين الحقيقة و المجاز في موضع واحد نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.[4]

و قوله أيضا ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [5].

---

1 سورة الأعراف الآية 27 .

2 سورة عبس الآية 17 .

3 سورة الذاريات الآية 10 .

4 سورة آل عمران الآية 54 .

5 سورة الشورى الآية 40 .

و قوله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[1] .

فالمنزل عليهم ليس اللباس ، و إنما الماء الذي أنبت الزرع المتخذ منه الغزل و النسيج .

قال الإمام " السيوطي " : « **و ذكر بعضهم أنه واسطة بين الحقيقة و المجاز لأنه لم يوضع لما يستعمل فيه ، فليس حقيقة ولا علاقة معتبرة فليس مجازا** »[2] .

كانت هذه نماذج عن أسلوب الحقيقة و المجاز في القرآن الكريم و سأعرض فيما يأتي نماذج عن أسلوب التوكيد و التكرار في القرآن الكريم .

[1] سورة الأعراف الآية 26 .

[2] السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 355 .

ج ـ التوكيد و التكرار :

و يراد من ورائه تقوية و تعزيز المعنى ، في النفس و إزالة الشك عن القول أو الكلام ويعرف بأنه :

« من المصطلح النحوي القديم الذي يندرج في غير موضع من المواضع النحوية ، فهو شيء من التوابع تارة في باب التوكيد اللفظي و المعنوي ، و هو شيء آخر في توكيد الفعل المضارع بالنون تارة أخرى » [1].

و يدخل ضمن أسلوب التوكيد التكرار و هو كما يعرفه المرزوقي : « **انعكاس للفكرة المسيطرة على ذهن الأديب و محاولة تأكيدها بالألفاظ و العبارات المترادفة ، و بلاغة هذا الضرب الأسلوبي في قدرته على تأكيد المعنى دون الإساءة إلى جمال الأسلوب أو بعث الملل في النفوس »** [2].

أو هو : « **تقنية معقدة تحتاج إلى تأمل طويل يضمن رصد حركيتها و تحليلها »**[3].

و بذلك يمكن أن نحدد مفهوم التكرار بالقول إنه إتيان المتكلم باللفظ ثم يعيده بعينه ، دون الاهتمام إن كان متفق المعنى أو مختلفا . و الفائدة منه إثبات الأمر و تأكيده و تقريره في النفس ، و كذا إثبات الدلالة في المعنيين المختلفين .

يقول " ابن قتيبة " : « **و من مذاهبهم التكرار : إرادة التوكيد و الإفهام »**[4] .

و يقول " السجلماسي " : « **التكرار اسم لمحمول يشابه به شيئا في جوهره المشترك لهما »**[5]).

---

[1] إبراهيم السامرائي ، من أساليب القرآن ، ط2 ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، 1407 هـ ، 1987 م ، ص 61 .

[2] عبد الهادي خضير ، النقد التطبيقي عند المرزوقي – شاعر الحماسة – ، ط1 ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 1431 هـ – 2010 م ، ص 95 .

[3] صابر عبيد محمد ، القصيدة العربية الحديثة ، ط2 ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 1431 هـ – 2010 م ، ص 202 .

[4] ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرح السيد أحمد صقر ، ص 235 .

[5] محمد سامي عبابنة ، التفكير الأسلوبي ، ص 207 .

و هو يأتي على عدة أشكال منها : التكرار الختامي ، الاستهلالي ، التراكمي ، المتدرج ، اللازمة ، الدائري .

و مثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ [1].

﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٥ ﴾ [2].

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ ﴾ [3] .

و كل هذه الآيات جاءت بصيغة التكرار اللفظي ، و المراد منه توكيد المعنى و تقريره .

و في موضع آخر يقول عز و جل : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [4].

فقد أراد الكفار من النبي – صلى الله عليه و سلم أن يعبد آلهتهم ؛ حتى يؤمنوا بالله و يعبدوه ، فأتى الله بهذه السورة الكريمة . فذكر و أعاد في الكلام أكثر من مرة ، حتى يحبط مزاعمهم ، و يكذب ظنونهم و معتقداتهم .

---

1 سورة الشرح الآية 5 ، 6 .

2 سورة القيامة الآية 34 ، 35 .

3 سورة الانفطار ، الآية 17 ، 18 .

4 سورة الكافرون الآيات 1 _ 6 .

و في قوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ [1].

أي أن تلين في دينك حتى يلينوا في دينهم .

و قوله عز و جل : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ ﴾ [2].

و تكرارها جاء بيانا منه سبحانه و تعالى لعباده ، و تذكيرا لهم بنعمه التي لا تعد و لا تحصى ، و تنبيها لكرمه و لطفه على عباده و رحمته بهم .

ومثاله أيضا في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾[3] .

و جاء في هذا التوكيد ورود الفعل " رأيت " و " رأيتهم " بهدف تأكيد أمر رؤياه ، و إزالة الشك عنه .

و قوله في نفس السورة دائما : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٦٩ ﴾[4] .

جاء قول سيدنا يوسف ـ **عليه السلام** ـ مؤكدا بأداة التوكيد " إن " و ضمير الفصل " أنا " و عبارة : " قال إني أنا أخوك " بدل اشتمال من جملة : " آوى إليه أخاه " .

---

1 سورة القلم الآية 9 .

2 سورة الرحمن الآية 33 .

3 سورة يوسف الآية 4 .

4 سورة يوسف الآية 69 .

د _ الأسلوب القصصي :

تمهيد :

القرآن الكريم هو المنهل الصافي و المنبع العذب الذي ما جفت سواقيه و روافده ، و هو المادة الخام التي يستقي منها كثير من الأدباء أفكارهم و معانيهم ، و هو المصدر الذي مهما أعطى فإنه لا ينقص منه إلا كما ينقص رأس المخيط إذا أدخل البحر .

و قد تحدى العرب و هم أهل الفصاحة و البلاغة و البيان في لغتهم و في أساليبهم ، و حتى إن القرآن تحداهم في فنونهم المختلفة التي لطالما تفاخروا بامتلاكهم ناصيتها ، و من تلك الفنون نجد الفن القصصي .

و القص في اللغة تتبع الأثر « **يقال قص أثره أي تتبع ، و القصص الأثر (...) و منه قصيص ، قصصت ظفر ، و القصص الأخبار المتتبعة** » . [1]

قال الله تبارك و تعالى : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾** ﴾ [2] .

و يقول عز و جل : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾** ﴾ [3] .

---

1 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 446 .

2 سورة آل عمران الآية 62 .

3 سورة يوسف الآية 111 .

و يقول أيضا : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣ ﴾[1] .

و القصة فن من الفنون الأدبية التي تعالج قضية معينة سواء أكانت سياسية أو دينية أو اجتماعية أو فلسفية بأسلوب فني أنيق .

أما القصة القرآنية فهي « **ليست عملا مستقلا في موضوعه و طريقة عرضه و إدارة حوادثه ، كما هو الشأن في القصة البشرية الفنية . إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة المؤدية إلى تحقيق هدفه الأصيل** » . [2]

و القصص في القرآن الكريم يهدف إلى تحقيق أغراض دينية و دنيوية في ذات الوقت ؛ إذ إنها تدعو إلى مواطن الخير و فضائل القيم و الأخلاق ، و نبذ التفرقة ، إضافة إلى تثبيت العقيدة الدينية في صدور المؤمنين و أفكارهم .

« **فهو منهج تربية و أسلوب توجيه و تعليم ، و غذاء للفكر و الروح و ذلك لما تتضمنه من توجيهات تربوية ، و مثل عليا و حكم و مواعظ و تعاليم لأصول العقيدة ، و ما ينبثق عنها من مبادئ خلقية و قيم روحية و أعمال سلوكية . تهذب النفس و تكون الشخصية المتزنة التي تعمل في اعتدال و توازن** » . [3]

« **و هي وسيلة مهمة للتعليم و الإرشاد و التشريع و لها أثر فاعل في بناء الفرد و المجتمع و لها أثر في تقديم أخلاقه و غرس القيم السامية** » . [4]

---

[1] سورة يوسف الآية 3 .

[2] جمال فلاح النوافعة ، أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدوكتوراه ، جامعة مؤتة ، 2008 ، ص 15 .

[3] طارق محمد السلامين ، أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة مؤتة ، 2010 ، ص 12 .

[4] انتصار عبد الحسين ، أثر القرآن الكريم في شعر الفرزدق ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة الكوفة ، العراق ، 1433 هـ ، 2012 م ، ص 72 .

و هو بذلك سر من أسرار الإعجاز القرآني لما له من مقاصد سامية و أغراض نبيلة ، تهدف إلى الارتقاء بالإنسان إلى أسمى المراتب و القيم . فهو سمو روحي و خلقي و نفسي يشعر به الفرد ، ويجد به حلاوته و لذته ، و هو سمو اجتماعي تجد الجماعة فيه بغيتها و أمنها و ضالتها و فضيلتها . [1]

و قد وردت في القرآن الكريم الكثير من القصص منها : قصص الأنبياء و المرسلين و أخبار الأمم الأولين ، إضافة إلى أخبار يوم القيامة و الجنة و النار .

و فيما يأتي سأقدم نماذج عن هذا الفن من القرآن الكريم ، و الذي نجد فيه أن أكثر القصص ورودا في النص القرآني هي قصة سيدنا موسى مع آل فرعون وجنوده و أتباعه ، و الذي يمكن أن نمثل لها بقوله تبارك و تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2] .

و قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

و من قصص الرسل و الأنبياء أيضا نجد قصة سيدنا عيسى عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

[1] حسن فضل عباس ، القصص القرآني : إيحاؤه و نفحاته ، ص 10 ، 11 .

[2] سورة البقرة الآية 67 .

[3] سورة البقرة الآية 60 .

ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

ونجد أيضا قصة سيدنا آدم عليه السلام مع الملائكة و إبليس الذي رفض أن يسجد له ، لأنه يرى نفسه أفضل من آدم كونه خلق من نار و أدم خلق من تراب قال تعالى : **وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾** .[2]

و من القصص الواردة في القرآن الكريم أيضا تصادفنا قصة أهل الكهف يقول تبارك و تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾[3] .

كانت هذه أمثلة من الأساليب القرآنية ، غير أنه يمكن الإشارة إلى أن الأساليب القرآنية كثيرة و متعددة ، و يصعب جمعها دفعة واحدة .

أما العنصر الأخير من هذا الفصل فيتعلق بالفرق بين الأسلوب القرآني و الأساليب العربية القديمة .

---

1 سورة المائدة الآية 110 .

2 سورة الإسراء الآية 61 .

3 سورة الكهف الآية 17 .

5 – الفرق بين الأسلوب القرآني و الأساليب العربية القديمة :

تمهيد :

العرب كما سبق و أن ذكرنا ، و كما أشرنا إليه آنفا أهل فصاحة و بلاغة و بيان ، و قد جاء القرآن الكريم على هيئة من النظم و البيان أجل و أعظم من كلام العرب ، وسأطرق في هذا العنصر من البحث إلى الفرق بين الأسلوب القرآني و أساليب العرب القديمة ، و التي يمكن أن نمثل لها بأفخم و أعذب و أروع الفنون التي عرفها العرب قديما هي : الشعر و سجع الكهان ، و الخطابة و هي تمثل أسمى مظاهر الروعة و الحسن عندهم .

و لكن و قبل التعرف على الفروق المختلفة بين هذه الأساليب ، وجب أولا التعرف على كل فن من هذه الفنون (الشعر و السجع و الخطابة) ، وتقديم لمحة موجزة عن كل منها . و ستكون بداية حديثي حول :

الشعر :

و هو كما يعرفه أبو اليقظان : « **وحي يوحيه الخيال على النفس فينطلق به اللسان ، فينشده الدهر قرونا ... يرسل أشعته من نافذتها فيضيء بها بطون الليالي المقبلة من العصور .** »[1]

فالشعر من وجهة نظره خيال ينتجه الشاعر ، و يعبر عنه بما جادت به قريحته من ألفاظ و أساليب و معاني ، و يبدع فيه بلغته و نظمه الفذ . فيؤثر في المتلقي ، و يجعل من ذلك الشعر آية ينشدها الناس عبر العصور ، جيلا بعد جيل .

أما " ابن خلدون " فيعرف الشعر بقوله : « **الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة و الأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة من الوزن و الروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه و مقصده عما قبله الجاري على أساليب العرب المخصوصة به ...** » [2].

أو هو كما يعرفه سيدنا " عمر بن الخطاب " _ رضي الله عنه _ : « **الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه** »[3] .

و فيه يوضح سيدنا عمر أن العرب في ذلك الوقت كان الشعر أجود ما يجيدونه ، و أنهم كانوا عليمين بضروبه و نظمه .

و هو (الشعر) سجل مثالبهم و مآثرهم بسبب ما يحويه من ذكر لأيامهم و وقائعهم في جاهليتهم ، و ما يحمله من مكارم للأخلاق و الصفات ؛ من شجاعة و كرم و مروءة و إغاثة الملهوف ... و غيرها من الخلال التي كان العربي يفتخر بها في شعره .

---

[1] أبو اليقظان ، ديوانه ، ج1 ، ص 4 ، نقلا عن : محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – من أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أوائل السبعينات – ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 م ، ص 36.

[2] حسن عليان ، الخطاب النقدي العربي : ابن خلدون ، إحسان عباس ، البنيويون ، ط1 ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 1429 هـ – 2008 م ، ص 24 .

[3] محمد سامي عبابنة ، التفكير الأسلوبي ، ص 227 .

و لعلنا ندرك قيمة الشعر و الشعراء في الجاهلية من تعليقهم له (الشعر) على أستار الكعبة (المعلقات) ، كما كان الأمر بالنسبة لعنترة ، و امرؤ القيس ، و النابغة ... و غيرهم من شعراء المعلقات السبع ، و هو الأمر الذي يبين المكانة الاجتماعية الكبيرة التي كان يحظى بها الشاعر في الجاهلية ، و كذا موهبته الشعرية و اللغوية التي تميزه عن بقية الناس .

أما الشيء الملاحظ على لغة الشعر العربي القديم فهو استخدامه للغة وحشية ، غريبة و معقدة مقارنة مع لغة القرآن الكريم الذي امتاز بلغة بسيطة ، سهلة و واضحة ؛ لذلك عمد الشعراء الموالون على تليين لغتهم و تهذيبها ، و استخدام ألفاظ سهلة و تراكيب سليمة ، و الابتعاد عن الغموض و التعقيد و بالتالي التجديد في الأسلوب الشعري .

غير أنه يعتبر من الصعوبة ما كان أن نحدد وظيفة الشعر تحديدا دقيقا ، باعتباره يعتمد على المتلقي و ما يتركه النص من أثر في السامع ، و السؤال الذي نطرحه حول الشعر و المهمة المنوطة به إنما يرتبط بأسلوب نظمه و الذي يعد وسيلة الشاعر لتحقيق هذه الوظيفة و المهمة .

" فابن سينا " مثلا يحدد وظيفة الشعر بقوله : « **فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال ، و الثاني للعجب فقط ، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه** » [1].

و بذلك فوظيفة الشعر **– حسب ابن سينا –** تكمن في أمرين أو مهمتين : الأولى تثقيفية ، و الثانية تعليمية ، يضاف إليهما التأثير في الجمهور؛ أي وظيفة جمالية تحقق المتعة للمتلقي .

و الأسلوب بذلك هو ما يجعل من الشعر أقدر على أداء وظيفته الإبلاغية و التجميلية و حتى النفسية ، و من هنا ندرك أهميته في الشعر ؛ إذ إنه (الأسلوب) ما يدفع بالمتلقي إلى الانفعال بسبب عملية التأليف الشعري .

[1] محمد سامي عبابنة ، التفكير الأسلوبي ، ص 226 .

« و الشعر في هذه الحال يعلم و يمتع ، كما هو الفهم في النقد الحديث ، إذ القصيدة تعلم و تمتع و تعلم عن طريق الإمتاع » [1].

« فهذه الخصائص الأسلوبية تشكل مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ و إمتاعه و شد انتباهه ، و إثارة خياله »[2] .

فمن خلال قول " عبد السلام المسدي " نلحظ بأنه ذهب نفس المذهب الذي ذهب إليه النقاد من قبل ، باعتبار الأسلوب وسيلة الكاتب أو الشاعر في الإقناع و الإمتاع ، و لفت انتباه المتلقي بسبب ما يحويه من صور و أخيلة و لغة و أفكار و تراكيب ، تجتمع مع بعضها البعض فتشكل نسيجا ملتحم الأجزاء و المفاصل ، فهو يلعب دورا جوهريا و رئيسيا في ترابط مكونات النص شكلا و مضمونا .

هذا فيما يخص الشعر العربي القديم و لغته و أسلوبه ، أما فيما يأتي فسأتعرض باختصار إلى فن آخر من فنون العرب القديمة ، و الذي عرف هو الآخر انتشارا واسعا في الحياة الأدبية عند العرب قديما ، ألا و هو " سجع الكهان " .

1 محمد سامي عبابنة ، التفكير الأسلوبي ، ص 226 .

2 عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 83 .

سجع الكهان :

و يعتبر هو الآخر من بين الفنون العربي القديمة التي لاقت في الجاهلية رواجا و شهرة ، جعلتها تحتل مكانة أساسية في الأدب العربي قديما ، و السجع في اللغة هو الصوت المتوازن .

أما اصطلاحا فهو : « **الكلام المقفى ، و سجع سجعا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن . و قال ابن جني سمي سجعا لاشتباه أواخره و تناسب فواصله** » [1].

و هو كما أورده الدكتور حسني عبد الجليل في كتابه " الأدب الجاهلي قضايا و فنون و نصوص " : « **تواطؤ الفاصلتين في النثر على حرف واحد في الآخر ، و التواطؤ : التوافق ، و قد يطلق على الكلام المسجع ، و يجوز أن نسمي الفقرة بتمامها سجعة ، تسمية الكل باسم الجزء** » [2].

و سجع الكهان أقوال منسوبة إلى الكهان الجاهليين ، و الذين يقومون بخدمة الأصنام و يزعمون اتصالهم بالجن و معرفة الأسرار ، و هدفهم في ذلك التأثير في السامعين ، و قد كانت الكهانة شائعة في الجاهلية قبل مبعث النبي – صلى الله عليه و سلم – . « **كان الكهان يعتمدون أسلوب التسجيع لموسيقاه الأخاذة ، و يكثرون القسم بالأرض و السماء و ما إلى ذلك لتقوية أقوالهم و وصولا إلى الإبهام ، و كانوا إلى ذلك يعتمدون الإبهام اعتمادا ، و يكثرون لذلك من التقطيع و الحذف و الإغراب حتى تمتر أقوالهم إلى ألوان من المعاني و يكثر فيها التأويل و الاحتمال** »[3] .

---

[1] غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي : قضاياه ، أغراضه و أعلامه ، وفنونه ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، 1422 هـ – 2002 م ، ص 695 .

[2] حسين عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي : قضايا ، فنون و نصوص ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1421 هـ – 2001 م ، ص 514 .

[3] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص 111 .

و هو « **ضروب من الزخرفة و التنميق و التعبير و التجويد و الإيقاع الموسيقي ، ليكون الكلام أدخل في النفس و أبعد أثرا** »[1] .

فمن خلال القولين السابقين يظهر لنا جليا الأسلوب الذي كان الكهان يعتمدونه في أسجاعهم من تنميق و تزيين للكلام ، و القسم بالكواكب و النجوم و السماء و الأرض و الرياح و السحب ، وغيرها من مظاهر الطبيعة من أجل تأكيد كلامهم ، و كذا الرموز لجعل المعاني أكثر غموضا و تعقيدا و إبهاما و لبسا .

يقول " الجاحظ " : « **كان "حازي " كاهن جهينة و " شق " و " سطيح " و " عزى سلمة " و أشباههم يتكهنون ، و يحكمون بالأسجاع** »[2] .

فالجاحظ يعرض لنا من خلال قوله هذا أسماء بعض من الكهان الذين اشتهروا في ذلك العصر و ذيع صيتهم في هذا الفن .

و يمكن أن نمثل لسجعهم هذا بقول زيد يخاطب جندب بن العنبر يقول : « **أما و الذي أحلف به لتأسرك ظعينة بين القرية الرقينة و قد أخبرني طيري أنه لا يغنيك غيري** » [3].

و قد نفى الله سبحانه و تعالى أن يكون القرآن الكريم سجعا أو شعرا ، أو أن يكون على هيأتهما .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢** ﴾ [4].

---

[1] غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي ، ص 697 .

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – ، ط 24 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص 422 .

[3] غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، المرجع السابق ، (ص . ن) .

[4] سورة الحاقة الآية 40 _ 42 .

و أريد أن أشير في الأخير إلى أنه و رغم الشهرة الواسعة التي لاقاها هذا الفن في الأوساط الأدبية إلا أني عجزت عن جمع الكثير من المعلومات و الشروحات حوله ، و كل ما استطعت الوصول إليه هو بعض التعاريف ، و الأمثلة البسيطة التي لم تتعد بعض الصفحات ، و التي أتمنى أن تكون أدت الغرض المرجو من ورائها ، و هو معرفة أسلوب هذا الفن العربي القديم .

فن الخطابة :

إن الخطابة نوع من أنواع الفنون التعبيرية القديمة ، و التي تهدف إلى إقناع السامع و استمالته ، و التأثير في عواطفه و مخاطبة عقله .

و يعرض الباحثون و المهتمون بهذا الفن الكلامي جملة من التعريفات له منها :

« **قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة** » . [1]

و أيضا : « **هي فن مشافهة الجمهور و إقناعه و استمالته** » . [2]

و بذلك فإن الخطابة نوع من الكلام يوجه إلى جمهور متلقي ، و هو يهدف إلى إقناعه و استمالته .

و قد كان لهذا الفن أثر كبير في النفوس كونها تعد وسيلة الأمة في الدفاع عن مصالحها و الذود عنها ، فهي لسان حالها شأنها في ذلك شأن الشعر : « **وقد كان للخطيب عندهم مقام كبير للسانه و فصاحته و بيانه و قدرته في الدفاع عن قومه و الذود عنهم و التكلم باسمهم** » . [3]

أما الجاحظ فقد قام بتقسيمها إلى ضربين من الكلام ، ضرب الخطب الطوال ، و ضرب الخطب القصار ؛ إذ يقول : « **اعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر و الوبر و البدو و الحضر على ضربين ، منها الطوال و منها القصار و لكل ذلك أسلوب يليق به و موضع يحسن فيه ، و من الطوال ما يكون مستويا في الجودة و متشاكلا في استواء الصنعة ، و منها ذات الفقر الحسان و النتف الجياد ...** » . [4]

---

1 آرسطو طاليس ، الخطابة ، ت . عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، ص 9 .

2 عيسى بن ساعد مدور ، الخطابة في النثر الجزائري الحديث : موضوعاتها و خصائصها ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدوكتوراه ، الجزائر ، 2004 – 2005 ، ص 87 .

3 علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، ج 8 ، 1413 هـ ، 1993 م ، ص 773 .

4 المصدر نفسه ، ص 774 .

و قد توخى العرب قديما أغراضا عديدة للخطابة منها : الدعوة إلى الابتعاد من القتال ، و الدعوة إلى الصلح و لم الشمل نتيجة لكثرة التنافر و التباغض فيما بينهم و كذا الدعوة إلى مكارم الأخلاق و فضائل القيم ، ثم تطورت الخطابة بعد ذلك و تطورت أغراضها كذلك ، فظهرت خطب التعزية و التهنئة ، و إنهاء الخصومات و ترك الثأر و غيرها من الأغراض التي تختلف باختلاف العصور و الأفراد .

و لهذا الفن أهداف يسعى إلى تحقيقها و لذلك فقد كانت لها أهمية بالغة في أوساط الشعوب و الأفراد نذكرها فيما يلي :

_ كون الخطابة حاجة نفسية .

_ ظاهرة من ظواهر المجتمع البشري .

_ سلاح من أسلحة الدعوة .

_ بيان من البيان الذي هو نعمة الله على الإنسان . [1]

و من أشهر الخطباء الذين عرفتهم الخطابة عبر تاريخها الطويل نذكر :

_ الخطيب ديموستين اليوناني .

_ شيشرون الروماني .

_ ميرابو الفرنسي ، كان هذا في العصور القديمة ، أما في العصر الجاهلي فنجد :

_ أكثم بن صيفي .

_ قس بن ساعدة الإيادي .

_ الحارث بن ظالم .

_ قيس بن مسعود .

[1] محمود محمد عمارة ، الخطابة بين النظرية و التطبيق ، ط1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، مصر ، 1997 ، ص 12.

أما في العصر الإسلامي فيمكن أن نذكر النبي محمد صلى الله عليه و سلم الذي كان خطيبا مصقعا لا يشق له غبار ، و لا يضاهيه أحد في الفصاحة و البيان .

و يمكن أن نمثل لهذا الجنس الأدبي بقول مأخوذ من خطبة مطولة لقس بن ساعدة يقول فيه : « **يا معشر إياد أين ثمود و عاد ؟ و أين الآباء و الأجداد ؟ أين المعروف الذي لم يشكر ؟ و الظلم الذي لم ينكر ؟ يقسم قسا بالله قسما لا إثم فيه . إن لله دينا هو أرضى له و أفضل من دينكم الذي أنتم عليه فطوبى لمن أدركه فاتبعه و ويل لمن خالفه** » . [1]

و يمكن أن نعرض فيما يأتي نموذجا آخر عن هذا الفن لأكثم بن صيفي يقول فيها : « **الصدق منجاة و الكذب مهواة ، آفة الرأي الهوى ، و العجز مفتاح الفقر ، و خير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، و سوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ...** » . [2]

و من خلال هذين المثالين يمكن أن نستخلص السمات الأسلوبية العامة لهذا الفن و التي نذكر منها :

_ اعتماد التسجيع خاصة في خطب المنافرات و المناظرات و كذا الأسلوب المرسل في خطب الصلح و المعاهدات .

_ بلاغة الكلام بهدف التأثير في الجمهور و استمالته ، و لفت الانتباه ، كذا بهدف إبلاغ الرسالة .

_ استخدام الفقر و العبارات القصيرة الموجزة و الموحية للمعنى المراد .

_ إدخال عنصر الشعر و المثل و الحكمة في الخطب من أجل تجميل الكلام من ناحية ، و كذا تسهيل فهمه و استيعابه من طرف المتلقي من ناحية أخرى .

---

[1] هاشم صالح مناع ، روائع من الأدب العربي : العصر الجاهلي ، الإسلامي ، الأموي ، العباسي ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1410 هـ – 1990 م ، ص 86 .

[2] المرجع نفسه ، ص 89 .

كان هذا فنا آخر من فنون العرب القديمة ، و التي لاقت رواجا كبيرا في الأدب العربي القديم و الذي يعتبر هو الآخر من الأجناس الأدبية التي امتازت بأسلوبها السلس الرصين ، و حسن العبارة ، و جودة اللفظ ، و متانة المعنى ، ما سمح لها بأن تبقى خالدة على مر العصور ، و يستمر وهجها إلى يومنا هذا .

غير أن ما يهمنا حقا من كل ما سبق هو معرفة الفروق بين أسلوب كل من القرآن الكريم ، و الشعر و السجع و الخطابة ، و هو ما يمكن توضيحه في هذا الجدول الذي نورد فيه خصائص كل أسلوب على حدة :

خصائص الأسلوب القرآني .	خصائص أسلوب الشعر .	خصائص أسلوب سجع الكهان .	خصائص الأسلوب الخطابي .
• الاتساق و الانسجام بين ألفاظه من جهة و بين ألفاظه و معانيه من جهة أخرى . • مخاطبة العام و الخاص ، حيث يستطيع كل الناس فهمه مهما كان عالما أو جاهلا كبيرا أو صغيرا . • مخاطبته العقل و إقناعه و كذا مخاطبة القلب و التأثير فيه و استمالته . • الترابط و التلاحم بين أجزائه و حسن تماسكه و جودة سبكه .	• البساطة في اللغة و التراكيب و الابتعاد عن التغريب في اللفظ. • ملكة الذوق و الخيال ، فالعرب قديما كانوا يرون توفرها ضروري للشاعر ، و يربطونها بالأسلوب الذي يستخدمه للتعبير عن أفكاره و عن نفسه. • القافية و هي تحتل المكان البارز في اهتمامهم بموسيقى الشعر، و يلحون على سلامتها و يعتبرون إطرادها عنصرا من عناصر النجاح الشعري • الوزن و هو من بين العناصر الأساسية التي لن يكون الشعر جميلا إلا به ، فطبيعة الشعر	• طريقة الأداء بين الحقيقة و الخيال باتباع طرق التعبير كالكنايات القريبة و ، و خطاب ما لا يعقل من الحيوان و الجماد . • النظر في جملة الأسلوب من حيث الجزالة أو الرقة الناشئة عما يتركب من المفردات . • النظر إلى الربط و الملاءمة بين العبارات . • مراعاة قواعد الإعراب من جهة و سلامة الأسلوب من جهة أخرى • الإكثار من السجع المتكلف و الرموز لجعل الأسلوب غامضا	• استخدام الألفاظ السهلة الواضحة ، و الابتعاد عن الغموض و التعقيد . • تنوع الأساليب و الأغراض المستعملة بين الخبر و الإنشاء ، الحقيقة و المجاز ، و ذلك باختلاف المواضيع و الأهداف التي يصبو الخطيب إلى تحقيقها . • استخدام التسجيع بكثرة أو ما يعرف بالقافية في الشعر و الفاصلة في القرآن ، و ذلك بهدف التأثير و لفت الانتباه . • إقحام عناصر جديدة في الخطبة كالشعر و الحكمة و المثل .

	تقتضي أن يكون موزونا و لفظه رقيقا و عذبا .	و مبهما .	• مراعاة سلامة اللغة و قواعد النحو و الإعراب ؛ إذ إن من أهم شروط الخطيب أن يكون مضطلعا على قواعد اللغة متمكنا منها ، خاليا كلامه من اللحن و الخطأ .

كانت هذه أهم الفروق التي استطعت استخلاصها بين أسلوب القرآن و الأسلوب الشعري و أسلوب السجع ، و الخطابة ، أو أسلوب العربي قديما – بصفة عامة – ، و بذلك نكون قد أجبنا عن سؤال آخر من الأسئلة التي طرحناها في هذا الفصل ، و هو آخر عنصر فيه .

و يمكن أن نختم هذا الفصل بالقول : إن الأسلوب القرآني بحر شاسع و واسع من العلوم ، و لمن يريد أن يغترف منه عليه أن يتذوق حلاوته ، و يتدبر ما فيه و يفهم معانيه ، ليحس بجلاله و عظمته و عظمة قائله .

كما يمكن الإشارة إلى أن عرض كل ما يتعلق ببحثي هذا في صفحات قليلة و أقوال موجزة ، اقتضى مني اختيار الأهم و التضحية بما ارتأيته أقل أهمية ، فلم يكن بوسعي التعمق و التوسع أكثر للضرورة المنهجية ، و حسبي هنا أن يعي المضطلع على هذا البحث المكانة الكبيرة التي حظي بها موضوع الأسلوب و الإعجاز القرآني في حقل الدراسات اللغوية و الأدبية منذ القديم و حتى يومنا هذا ، و أصالته (الموضوع) في تراثنا.

كان هذا فيما يتعلق بالفصل الأول ، أما الفصل الثاني فقد أفردت هذا الجانب من البحث المعنون بـ : الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي بالجانب التطبيقي ، و قد جعلته مقسما إلى مبحثين :

الأول و يتعلق بالجانب الشكلي منه ، و فيه تطرقت إلى :

_ أثر الاقتباس أو التناص القرآني في رسالة طوق الحمامة .

_ أثر الألفاظ القرآنية .

_ ثم الفاصلة القرآنية .

أما المبحث **الثاني** فجعلته متعلقا بالبنية المعنوية ، و حاولت فيه استخراج :

_ الأسلوب القرآني .

_ المعاني القرآنية ، و دائما من رسالة طوق الحمامة .

و قد أسبقت كل عنصر من هذه العناصر _ سواء في البنية الشكلية أو المعنوية _ بتعريف مختصر و لمحة موجزة عن كل واحد منها (العناصر) . كما تعرضت إلى أثر الظاهرية في تشكيل أسلوب أديبنا و شاعرنا ابن حزم الأندلسي ، وذلك حتى يتسنى فهم الموضوع ، و محاولة الإحاطة بالجوانب المتعلقة به قدر الإمكان .

1 _ التناص القرآني :

تعريف التناص : التناص من المفاهيم النقدية الحديثة و التي ترتبط بشكل وثيق بالظاهرة الأسلوبية .

و قد ظهر هذا المصطلح بادئ الأمر في أوربا و كان ذلك في النصف الثاني من القرن العشرين ، و ذلك بفضل مجهودات و أبحاث " جوليا كريستيفا julia kristiva " . و التي كان لها السبق في إطلاق هذا المصطلح في كتابها " أبحاث في تحليل علاماتي " . و التي ترى من خلاله أن التناص : « **ميزة لا يستطيع أن ينفلت منها أي مكتوب على الإطلاق ، فكل نص ينبني كفسيفساء من الاستشهادات إنه امتصاص و تحويل لنص آخر**» [1] .

و هي في قولها هذا تذهب إلى أن التناص ميزة و خاصية في كل النصوص ؛ بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتبرأ منه مكتوب ، أو أن يقوم نص دونه ؛ إذا فسبب كينونة أي خطاب هو ذلك التداخل و التناغم الذي يحدث بين نصين أو أكثر ، فينتج عنه نصا جديدا أكثر إبداعا و تميزا عن سابقه .

و نظرا لأسبقية الغربيين في البحث و الدراسة حول موضوع التناص من العرب ، فقد أردت أن أورد تعريف هذا المصطلح في القواميس الغربية ، قبل عرض مفاهيمه في المعاجم العربية .

_ ففي المعاجم الفرنسية مثلا نجد التعريف التالي :

[1] العيد جلولي ، إستراتيجية التناص في رواية " سرداق الحلم و الفجيعة " لـ : عز الدين جلاوجي ، مذكرة معدة استكمالا لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، 2010 – 2011 ، ص 8 .

Intertextualité : « réseau des idées , des discours , des motifs culturels , qui entretien correspondance avec une œuvre »[1] .

و مؤدى هذا الكلام أن التناص هو شبكة من الأفكار و الخطابات و الموضوعات الثقافية التي تدخل في تفاعل مع أثر أدبي ما .

_ أما في القاموس الإنجليزي فنجده :

Intertextuality : « denote a transposition of one or sevral sign systems into another or other lest this not connected with the study of sources »[2] .

و هو بذلك : تحويل النظام الإحالي أو الأنظمة الإحالية إلى نظام إحالي آخر ، و لكن رغم ارتباط النصوص بعضها ببعض إلا أنه لا ينبغي تفرد النص الجديد .

_ و هو أيضا :

« any texte is the absorpation and transformation of another »[3].

و معنى هذا الكلام : أن كل نص هو تحويل أو امتصاص لنصوص أخرى .

كانت هذه بعض التعاريف اللغوية الواردة في المعاجم الأجنبية ، أما في اللغة العربية . فقد ورد في لسان العرب تعريفه بالقول :

« النص رفعك الشيء ، و نص الحديث نصه نصا رفعه و كل ما أظهر فقد نص ... و نص المتاع نصا جعل بعضه على بعض ... و النص أصله منتهى الأشياء و مبلغ

---

1 Bernard le charbonnier Dominique , rincé pierre , Brunel Christiane moatti , littérature textes et documents , introduction historique de pierre Miquel xx siècle , collection Henri Mitterrand , France , 1998 , p 875 .

2 J.a , cuddon , dictionary of litrary terms and litrary theory , 3rd edition , printed in england by clays , LTD , stives PLC , 1976 – 1977 . p 454 .

3 Same ressource (s . p) .

أقصاها ، و منه قيل : نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده » [1].

و التناص _ بذلك _ يعني في مفهومه اللغوي البلوغ في الغاية و الاكتمال في الهدف ، و هو ذو أصل لاتيني مأخوذ في اللغات الأوربية من لفظة **texte** المشتقة من لفظة :

tex tus بمعنى النسيج **tissu** المشتقة بدورها من **texsere** بمعنى نسج [2].

أما اصطلاحا فيعرفه محمد عبد المطلب قائلا : « **أصبح أداة كشيفة صالحة للتعامل مع النص القديم و الجديد على السواء فيما يخص التداخل بينهم ، و الدور الذي يلعبه في إنتاج النص** ». [3]

و هو بهذا المعنى الأداة التي تسمح بإنتاج نص جديد بالاتكاء على نص غيره أو عدة نصوص أخرى .

و يرجع اهتمام البلاغيون بهذه الظاهرة _ ظاهرة تداخل النصوص _ بهدف معرفة قوة الكاتب أو الأديب الإبداعية ، و ذلك من خلال معرفة مدى صحة أعماله و أصالة مؤلفاته ، و هو الأمر الذي أعاد قضية السرقات الأدبية و بقوة إلى حقول الدراسا ت النقدية العربية الحديثة ؛ كونهم (النقاد) يعدون التناص يحمل جذورا للسرقات الأدبية .

و قد وظف ابن حزم الأندلسي التناص في مواضع كثيرة من الطوق سواء في شعره أم في نثره ، و يمكن أن نستخلص بعضا من هذه المواضع التي تظهر تأثره الكبير بالقرآن الكريم ، و يعكس ثقافته الدينية الواسعة .

---

1 ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ، (مادة نص) ، ج14 ، ص 154 .

2 مصطفى السعدني ، التناص الشعري : قراءة أخرى لقضية السرقات ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1991 ، ص 8 .

3 محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ط1 ، الشركة العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، 1995 ، ص 136 .

ففي باب السلو مثلا نجد ابن حزم يقول : [1]

أراك نذرت للرحمن صوما ***** فلست تكلمين اليوم حيا**

و فيه إشارة إلى قوله عز و جل في سورة مريم : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [2].

و يستخدم التناص أيضا في قوله : « **و لولا أنه تلقى من ربه كلمات و تاب عليه لكان من الهالكين** » [3].

و هو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [4].

فقد اعترف آدم عليه السلام بذنبه و استغفر الله و سأل عفوه فقبل الله سبحانه و تعالى توبته و عفا عنه بعفوه و رحمته الواسعة و كان توابا رحيما .

و يستعمل ابن حزم التناص دائما مع قصة سيدنا آدم عليه السلام ، فيقول في موضع من رسالته : « **الذي خلقه و نفخ فيه من روحه و أسجد له الملائكة** »[5] .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت : عفيف نايف حاطوم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ _ 2003 م ، ص 125 .

[2] سورة مريم الآية 26 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 150 .

[4] سورة البقرة الآية 37 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 150 .

و هو ما يذكرنا بالآية القرآنية الكريمة : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1].

و كذا في قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [2].

و نجده أكثر تأثرا بقصص الرسل و الأنبياء و خاصة قصة سيدنا آدم عليه السلام حيث نجده يقول : " **و هذا آدم عليه السلام بذنب واحد أخرج من الجنة إلى شقاء الدنيا و نكدها** " [3] .

و المعنى مقتبس من الآية القرآنية الكريمة : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4].

كما نجده يقتبس قصة قوم سيدنا لوط عليه السلام ، إذ يقول : « **و أما فعل قوم لوط فشنيع بشع ، و قد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مسومة** » [5].

---

1 سورة الحجر الآية 29 .

2 سورة الأعراف الآية 11 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 150 .

4 سورة البقرة الآية 36 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 157 .

و هو المعنى المقتبس من قوله عز و جل : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1].

و يقول أيضا : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [2].

و في محل آخر من رسالته يقول : [3]

و مكن داوود بأيد و ابنه **** فتعسيرها ملقى له و بدارها**

و معنى البيت الذي أوردناه نجده يتناص و يتداخل مع قوله عز و جل : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

و نجده يقتبس من القرآن الكريم قصة سيدنا يعقوب و ابنه يوسف عليهما السلام ، حيث يقول : [5]

كذلك يعقوب نبي الهدى **** إذ شفه الحزن على يوسف**

---

1 سورة الذاريات الآيات 31 – 35 .

2 سورة الأعراف الآية 84 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 171 .

4 سورة ص الآية 17 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 112 .

و هو المعنى الذي نجده جليا واضحا في قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ ﴾ [1].

ثم يقول في نفس الموضع : [2]

شم قميصا جاءه من عنده **** و كان مكفوفا ومنه شفي**

و هو ما يمكن أن نجده في قوله جل و علا : ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾ [3].

و نجد التناص مع القرآن الكريم أكثر جلاء و بيانا في قول ابن حزم الأندلسي : [4]

إذا حشرت فيه الوحوش و جمعت **** صحائفنا و انثال فينا انتشارها**

و هو ما نجده في سورة التكوير ؛ حيث نجد صدر البيت يتقاطع مع قوله عز و جل : ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ ﴾ [5].

أما عجز البيت فيتناص مع قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ ﴾ [6].

و نجده يقتبس من نفس السورة دائما فيقول : [7]

و زينت الجنات فيه و أزلفت **** و أذكى من نار الجحيم استعارها**

---

1 سورة يوسف الآية 84 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 112 .

3 سورة يوسف الآية 93 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 168 .

5 سورة التكوير الآية 5 .

6 سورة التكوير الآية 10 .

7 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 168 .

فصدر البيت نجده في مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ ﴾ [1] .

و قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2].

أما العجز فإنه مأخوذ من قوله عز و جل : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ [3].

ثم يقول : [4]

و كورت الشمس المنيرة بالضحى **** و أسرع من زهر النجوم انكدارها**

و سيرت الأجبال والأرض بدلت **** و قد عطلت من مالكيه عشارها**

و فيها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾ [5].

و يقول ابن حزم في الطوق _ أيضا _ : [6]

لو جاءني عملي في حسن صورتها **** يوم الحساب و يوم النفخ في الصور**

و معنى هذا البيت نجده في مواضع كثيرة ، و سور مختلفة من القرآن الكريم ، فنجده

---

1 سورة التكوير الآية 13 .

2 سورة الشعراء الآية 90 .

3 سورة التكوير الآية 12 .

4 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 168.

5 سورة التكوير الآيات 1 – 4 .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 140 .

مثلا في سورة الأنعام ؛ إذ يقول الله عز و جل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [1].

و في سورة ق يقول الله تبارك و تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2].

و يقول أيضا : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [3].

و في باب قبح المعصية ها هو ذا ابن حزم يصف لنا امرأة كانت مودتها في غير ذات الله عز و جل فيقول :

" **أثقب من النجم** " [4] .

و هو ما يذكرنا بالآية الكريمة : ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾ [5] .

ثم يقول : " **و أمضى من عقم* الرياح** " . [6]

---

1 سورة الأنعام الآية 73 .

2 سورة ق الآية 20 .

3 سورة يس الآية 51 .

4 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 148 .

5 سورة الطارق الآية 3 .

* **الثاقب** : قيل إنه " زحل " الذي يخرق السموات السبع و ينفذ فيها .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 148 .

* **ريح عقيم** : ريح غير لاقح ، لا خير فيه .

و فيها تناص مع الآية القرآنية الكريمة في سورة الذاريات : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

فقد شبه أبو محمد هذه المرأة الفاتنة الجمال بالنجم المضيء الذي يثقب نوره ، فيخرق السماوات حتى يرى في الأرض . فجمالها خارق للأبصار ، مذهب للعقول ؛ غير أنها كالريح العقيم التي لا خير فيها و لا نفع . [2]

و في نفس الباب _ دائما _ يقول : " **و صير شيطانا رجيما** " [3].

و معناه يتناص مع قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4].

و مع قوله أيضا : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [5]

و يقول ابن حزم كذلك : [6]

وجه تخر* له الأنوار ساجدة *** و الوجه تم فلم ينقص و لم يزد**

و معنى هذا البيت نجده في مثل قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ... ﴾ [7] .

---

1 سورة الذاريات الآية 41 .

2 عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن – تفسير سورة الذاريات – ، ص 920 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 150 .

4 سورة الحجر الآية 34 .

5 سورة النحل الآية 98 .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 104 .

7 سورة يوسف الآية 100 .

و في موضع آخر يقول : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [1].

و يقول أبو محمد علي أيضا : [2]

أليس حبي لك مستأهلا **** لأن تجازيه بإحسان**

و مثل هذا القول نجده في سورة الرحمان : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [3].

و في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [4].

و مثل هذه الأمثلة كثيرة في مدونة ابن حزم ؛ إذ إننا نجده يقسم بالله تعالى ، و يستشهد بأسمائه الحسنى و صفاته العلى لإثبات أمور ، أو نفي أمور أخرى و ذمها .

و يقول ابن حزم أيضا :

" **و أما القتل فإن قبل الولي الدية في قول بعض الفقهاء ، أو عفا في قول جميعهم سقط عن القاتل القتل بالقصاص** " . [5]

---

1 سورة السجدة الآية 15 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 90 .

3 سورة الرحمن الآية 60 .

4 سورة الكهف الآية 88 .

5 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 154 .

و هو ما نجده في سورة النساء ؛ حيث يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [1].

و قد ورد هذا القول في باب قبح المعصية و فيه يبين ابن حزم أحكام الله تعالى و شرعه بطريقة مبسطة و يحاول تقريبها من أفهام الناس و أذهانهم .

و في محل آخر نجده يقول : [2]

هل اللؤلؤ المكنون و الذر كله **** رأينا بغير الغوص في البحر يطلب**

و نجدها في مثل قوله تبارك و تعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

و قوله أيضا : ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4].

و يقول أيضا : [5]

---

1 سورة النساء الآية 92 .

2 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 81 .

3 سورة الطور الآية 24 .

4 سورة الواقعة الآية 23 .

5 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 77 .

إذا مزجت الحق بالباطل **** جوزت ما شئت على الغافل**

و معنى البيت يتداخل مع قوله سبحانه و تعالى في سورة آل عمران : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾ [1].

و قوله عز و جل :

﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ ﴾[2].

و نجده يقتبس من القرآن الكريم أيضا في قوله : [3]

سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة **** لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا**

و هو ما نجده في قوله تبارك و تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ ﴾[4] .

و نجد التناص أيضا في قوله : [5]

ألهاه عما عهدت يعجبه **** خيفة يوم تبلى السرائر**

و هو المعنى الذي نجده في قول الله عز و جل : ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾ [6].

و الأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم ، و لا يمكن حصرها .

---

1 سورة آل عمران الآية 71 .

2 سورة الأنفال الآية 8 .

3 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 174 .

4 سورة الشرح الآية 5 ، 6 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 164 .

6 سورة الطارق الآية 9 .

كما أنه يقول في موضع أخر : " **علم أنها النفس الأمارة بالسوء** " [1].

و معناه مأخوذ من قوله تبارك اسمه : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[2] .

هذا من ناحية الاقتباسات و التداخلات الموجودة بين مدونة " طوق الحمامة " و " النص القرآني " ، و التي يمكن أن نلمح من خلالها تأثر أديبنا الواضح و الجلي بكتاب الله عز و جل .

غير أننا نجده في أحايين كثيرة يورد آيات كاملة من الذكر الحكيم ، ليستشهد بها و يدعم أقواله ، و يمكن أن أعرض بعضا من هذه الاستشهادات القرآنية في الطوق .

فنجده في باب قبح المعصية مثلا ، و في الصفحة 135 بالذات يورد قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [3].

كما نجده في نفس الباب يورد قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ [4].

و ذلك للاستدلال على أن المسلم يجب أن يكون مخبرا عن نفسه بما أنعم الله تعالى من طاعة ربه التي هي من أعظم النعم و أجلها . [5]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 159 .

2 سورة يوسف الآية 53 .

3 سورة الحجرات الآية 7 .

4 سورة الضحى الآية 11 .

5 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 139 .

أما في باب فضل التعفف فإنه يورد في الصفحة 160 قوله سبحانه و تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1].

و في نفس الباب و في نفس الصفحة _ دائما _ نجده يورد قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

كانت هذه الأمثلة التي أردت أن أسوقها في هذا المبحث ، و الأمثلة من ذلك كثيرة و يتعذر علينا ذكرها جميعا لاعتبارات منهجية لذا اكتفيت بهذا القدر من الآيات و الاستشهادات .

[1] سورة الشعراء الآية 88 ، 89 .

[2] سورة الإسراء الآية 13 ، 14 .

2 _ الألفاظ القرآنية :

يرى كثير من النقاد العرب القدامى أن صناعة الأدب سواء أكان شعرا أم نثرا إنما يقع في اللفظ لا في المعنى ، فالمعاني عند " ابن خلدون " تتشكل في الذهن ، و تظل عبارة عن خيال خافية في الذهن ، و لا يمكن التعرف عليها إلا إذا وجدت القالب الذي تنصب فيه ، و الشكل الذي تتمظهر به .

و هو بذلك يعد صناعة الأدب في الكلمة ، والعبارة و الأسلوب الأدبي لا في المعاني ؛ إذ يقول : « **اعلم أن صناعة الكلام نظما و نثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، و إنما المعاني تبع لها و هي أصل ...** »[1].

و هو نفس المذهب الذي راح إليه " الجاحظ " ، بحيث اعتنى هو الآخر باللفظ على حساب المعنى ، لأن اللفظ _ حسبه _ هو الذي يكسب المعنى دلالته و صورته ؛ حيث يقول : « **فالمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي ، و البدوي و القروي و المدني ، و إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ ...** »[2].

و هو الأمر الذي يؤكده " أبو هلال العسكري " في كتابه الصناعتين ، بحيث يرى أن الأوصاف تنصب في اللفظ لا في المعنى ؛ إذ يقول : « **و أكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني ، و توخي صواب المعنى أحسن من توخي هذه الأمور في اللفظ ، و لهذا تأنق الكتاب في الرسالة و الخطيب في الخطبة و الشاعر في القصيدة ، يبالغون في تجويدها ، و يغلون في ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم و حذقهم بصناعتهم ، و لو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدا** »[3].

---

[1] ابن خلدون محمد عبد الرحمن ، المقدمة ، ت : درويش الجويدي ، ط2 ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ – 2000 م ، ص 576 .

[2] محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي ، ص 49 .

[3] قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، ص 447 .

أما " ابن قتيبة فإنه يرى أن كلا من اللفظ و المعنى يحمل مدلولا خاصا به « **فمدلول اللفظ عنده يريد به النظم و التأليف الممثل في اللفظ المفرد و الوزن و الروي ، فحسن اللفظ إنما يعني صحة الوزن و حسن الروي ، و اللفظ المفرد المتخير أي الأسلوب أما مدلول المعنى فهو يعني الفكرة التي يبين عنها البيت** » [1].

و هو بذلك لا يفرق بين اللفظ و المعنى ، و لا يفضل أحدهما على الآخر .

و هذا " ابن طباطبا " نجده ينحو نفس المنحى الذي ذهب إليه ابن قتيبة من قبل ، حيث يرى أن العلاقة بينهما كعلاقة الروح بالجسد ؛ إذ يقول : « **و الكلام جسد و روح ، فجسده النطق و روحه معناه** ».[2]

و هو نفس الوصف الذي أطلقه ابن رشيق ، حيث يقول : « **اللفظ جسم و روحه المعنى ، و ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه و يقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى و اختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر و هجنة عليه** » [3].

و قد اشترط العرب في اللفظ عدة شروط تحدد من خلالها جيد اللفظ و حسنه من رديئه و قبيحه ، و من بين هذه الشروط نجد : حسن المخرج و سهولته ، قرب هذه الألفاظ من الأفهام ، و كذا بعدها عن الغموض و التعقيد ، ويضاف إليه فصاحته و خلوه من اللحن في اللغة ، و أهم شرط يشترطه النقاد في اللفظ هو ائتلافه مع المعنى المراد حتى يؤدي الغرض الذي وضع لأجله .

و قد تكون استعانة الأديب أو الشاعر باللفظة القرآنية أفضل ما يمكن الاستعانة به في نتاجه من التعبيرات الفنية ؛ إذ إنها تلهمه تصوير الموقف المراد إبرازه و إيصاله إلى المتلقي بصورة أجل و أوضح من أي وسيلة تعبير أخرى .

---

1 قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، ص 331 .

2 المرجع نفسه ، ص 390 .

3 محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي ، ص 49 .

و إذا ما تنبهنا إلى ما تضفيه اللفظة القرآنية من وقع صوتي مميز من خلال جرسها الموسيقي البديع يبتدي لنا جليا مدى حرصه (الشاعر أو الأديب) و رغبته في استلهام تلك اللفظة القرآنية في أساليبه وفي لغته و خاصة من ناحية إيقاعها .

و قد قمت في هذا الجزء بتقسيم الألفاظ القرآنية الواردة في الطوق إلى عدة حقول دلالية ، و بذكر أمثلة من القرآن الكريم عن كل مفردة متعلقة بكل حقل من هذه الحقول

و ذلك كالأتي :

أ _ ألفاظ دالة على العبادة :

و من بين هذه الألفاظ نجد :

- **الإيمان** :

و يمكن أن نمثل لها بقول ابن حزم الأندلسي : [1]

هو في شرعه* المودة ذو شر *** ك بعيد من صحة الإيمان**

و مثل هذه المفردة نجدها في قوله تبارك و تعالى : ﴿ ... ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ... ﴾[2].

و قوله أيضا : ﴿ ... ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [3]

و يمكن أن نجد هذه المفردة بصيغة " **المؤمن** " أو " **المؤمنون** " ، في مثل قول ابن

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 38 .

* **شريعة** : ما شرع الله لعباده ، و الظاهر المستقيم لعباده .

2 سورة البقرة الآية 143 .

3 سورة البقرة الآية 93 .

حزم : [1]

و قد أحل الكفر خوف الردى **** حتى ترى المؤمن كالكافر**

و هذا ما يمكن أن نجده في مثل قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ ... ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

- **الكفر** :

و من المفردات القرآنية الواردة في الطوق أيضا نجد الكفر و هو عكس الإيمان و نجدها كثيرة في كتاب ابن حزم و يمكن أن نمثل لها بقوله : [3]

و هجرك تعذيب الموحد ينقضي **** و يرجو التلاقي أم عذاب ذوي الكفر**

و في قوله أيضا : [4]

و أنقضنا من كفر أربابنا به **** و كان على قطب الهلاك مدارها**

و نجد هذه الكلمة في قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[5].

و كان ذلك في قوله عز و جل : ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[6] .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 89 .

2 سورة الأحزاب الآية 25 .

3 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 91 .

4 المصدر نفسه ، ص 171 .

5 سورة الروم الآية 44 .

6 سورة النور الآية 55 .

- **التقى :**

و نجد مثل هذه اللفظة القرآنية في قول ابن حزم : [1]

سبيل التقى و النسك خير المسالك **** و سالكها مستبصرا خير المسالك**

و قوله أيضا : [2]

و لا تقي الورى كفاسقهم **** و ليس صدق الكلام من كذبه**

و نجدها في كتاب الله عز و جل في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾[3] .

و كذا في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[4] .

- **الدين :**

و نجد أمثلته في الطوق في مثل قول ابن حزم الأندلسي : [5]

و كذا الدين واحد مستقيم **** و كفور من شرعه دينان**

و قوله أيضا : [6]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 158 .

2 المصدر نفسه ، ص 165 .

3 سورة الأعراف الآية 35 .

4 سورة آل عمران الآية 102 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 38 .

6 المصدر نفسه ، ص 89 .

وقد أباح الله في دينه **** تقية المأسور للآسر**

و هو في مثل قوله تبارك و تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

و قوله تبارك اسمه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[2] .

كانت هذه أمثلة عن أهم المفردات التي وردت في الطوق بكثرة و المتعلقة بالعقيدة و سأتطرق فيما يلي إلى حقل آخر من الحقول الدالة على الألفاظ القرآنية و هو:

ب _ ألفاظ متعلقة بالجنة و النار :

و قد وردت في الطوق بكثرة و نذكر منها :

- **الجنة :**

و يمكن أن نمثل لهذه المفردة بقول ابن حزم الأندلسي : [3]

فأوصاف الجنات مقصرات **** على التحقيق عن قدر الجنان**

و كذا في قوله : [4]

لأمرى عباد الله بالفوز عنده **** لدى جنة الفردوس فوق الأرائك**

---

1 سورة آل عمران الآية 83 .

2 سورة النساء الآية 125 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 33 .

4 المصدر نفسه ، ص 158 .

و قد وردت في القرآن الكريم في قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [1].

و قوله أيضا : ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [2].

- **النار** :

ونجدها في قول ابن حزم الأندلسي : [3]

فكيف و النار للمسيء إذا **** عاج عن المستقيم من عقبه**

و قوله في موضع آخر : [4]

فيا أيها المغرور بادر برجعة **** فلله دار ليس تخمد نارها**

و تتكرر هذه المفردات كثيرا في القرآن الكريم ، و لا بأس أن نضرب لها مثلا في قوله تبارك و تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [5] .

و قوله عز و جل : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [6] .

---

1 سورة الصافات الآية 158 .

2 سورة سبأ الآية 16 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 166 .

4 المصدر نفسه ، ص 167 .

5 سورة البقرة الآية 17 .

6 سورة الواقعة الآية 71 .

و قوله أيضا : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ﴾[1] .

- **الجحيم** :

وردت في قول ابن حزم الأندلسي : [2]

و زينت الجنة فيه و أزلفت **** و أذكى من نار الجحيم استعارها**

و جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في مواقع عديدة ، نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾[3] .

و قوله تبارك وتعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ﴾[4] .

و قوله أيضا : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾[5] .

و الأمثلة عن هذه المفردة كثيرة في القرآن الكريم ، و لا يتسع المجال لذكرها جميعا .

- **جهنم** :

يقول أبو محمد علي : [6]

به وصفت ألوان أهل جهنم **** و لبسة باك مثكل الأهل محتد**

---

1 سورة الهمزة الآية 6 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 168 .

3 سورة الانفطار الآية 14 .

4 سورة المطففين الآية 16 .

5 سورة التكاثر الآية 6 .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 41 .

و نجدها في قول الله عز و جل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ... ﴾[1] .

و قوله أيضا : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ ﴾[2] .

و قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾[3] .

- **الحشر :**

قال ابن حزم الأندلسي في مدونته :[4]

فأصبحت فيه لا تحلين غيره **** إلى مقتضى يوم القيامة و الحشر**

و قوله أيضا :[5]

تنادي إلى يوم شديد مفزع **** و ساعة حشر ليس يخفى اشتهارها**

و نجدها في مثل قوله تبارك و تعالى : ﴿ ... ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ ﴾[6] .

و قوله جل و علا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾[7] .

---

1 سورة البينة الآية 6 .

2 سورة النبأ الآية 21 .

3 سورة الملك الآية 6 .

4 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 76 .

5 المصدر نفسه ، ص 168 .

6 سورة ق الآية 44 .

7 سورة الحشر الآية 2 .

و من الألفاظ الواردة في هذا الحقل أيضا نجد :

- **الروض** :

كثيرة هي الأمثلة عن هذه المفردة الواردة في كتاب ابن حزم الأندلسي و مثالها في قوله : [1]

نعمنا على نور من الروض زاهر **** سقته الغوادي فهو يثنى و يحمد**

كأن الجبال و المزن و الروض عاطرا **** دموع و أجفان و خد مورد**

و منه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[2] .

و قوله تعالى أيضا : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّٰتِۖ ... ﴾[3] .

أما الحقل الآخر الذي يمكن التعرض إليه من خلال هذا العنصر فهو :

ج ـ الألفاظ المتعلقة بالسماء و الأرض :

- **السماء و الأرض** :

و ذلك في قول ابن حزم : [4]

أخدمنا الأرض و السماء و من **** في الجو من مائه و من شهبه**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 27 .

2 سورة الروم الآية 15 .

3 سورة الشورى الآية 22 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 167 .

و في قوله أيضا : " **و بالحق قامت السماوات و الأرض** " . [1]

و مثل ذلك ما نجده في قوله تبارك و تعالى : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [2] .

و قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] .

- **النجوم** :

و نستشهد لها بقول ابن حزم : [4]

و قيامي إن قمت كالأنجم العا **** لية الثابتة في الإبطاء**

و قوله في محل آخر : [5]

أرعى النجوم كأنني كلفت أن **** أرعى جميع ثبوتها و الخنس**

و مثال ذلك في قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [6] .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 69 .

2 سورة النمل الآية 64 .

3 سورة البقرة الآية 22 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق، ص 24 .

5 المصدر السابق ، ص 27 .

6 سورة النجم الآية 1 .

و قوله عز و جل : ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾[1] .

و في قوله أيضا : ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ ﴾ [2] .

و هذه المفردة واردة بكثرة في القرآن الكريم و كذا في رسالة طوق الحمامة .

و يمكن أن ننتقل إلى لفظة أخرى من الألفاظ القرآنية المتعلقة بهذا الحقل _ دائما _ و الواردة في مدونة ابن حزم و هي :

- **الشمس :**

و هي أيضا واردة في الطوق بكثرة ، و مثال ذلك قول أبو محمد علي : [3]

فيا رب يوم في ذراها و ليلة **** وصلنا هناك الشمس بالله و و البدرا**

و مثال ذلك في القرآن الكريم في قوله تبارك و تعالى : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾ [4] .

و قوله أيضا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ... ﴾[5] .

و قوله عز و جل : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾[6] .

---

1 سورة الرحمن الآية 6 .

2 سورة الواقعة الآية 75 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 174 .

4 سورة الرحمن الآية 5 .

5 سورة يونس الآية 5 .

6 سورة التكوير الآية 1 .

د _ ألفاظ قرآنية أخرى :

و يمكن أن نذكر منها :

- **الخزي :**

وردت في قول ابن حزم : " **و ما رأيت أخزى من كذاب** " . [1]

و في قوله أيضا : " **قائدة أصحابها إلى الوبال و الخزي** " . [2]

قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] .

و قوله تبارك و تعالى : ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ ... ﴾[4] .

و من المفردات القرآنية الواردة في الطوق أيضا نجد لفظة :

- **قواريه :**

وردت في مواطن مختلفة من الطوق نذكر منها قول ابن حزم الأندلسي : [5]

و يا مجتلي تلك البساتين حفها **** رياض قواريه * غدت بعدنا غبرا**

و قوله أيضا : [6]

كأنها حين تخطو في مجاسدها **** تخطو على البيض أو خضر القوارير**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 69 .

2 المصدر نفسه ، ص 151.

3 سورة المائدة الآية 33 .

4 سورة التحريم الآية 8 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 173 .

* **القوارير** : ج . مفرده قارورة ، و هي حدقة العين ، كما تطلق أيضا هذه اللفظة على النساء .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 125 .

و نمثل له بقول الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

و قوله عز و جل : ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[2] .

- **المزن :**

يقول ابن حزم :[3]

و أيتها الدار الحبيبة لا يرم **** ربوعك جون* المزن* يهمي بها القطرا**

و في قوله أيضا :[4]

كأن الجبال و المزن و الروض عاطرا **** دموع و أجفان و خد مورد**

و قد ذكرت هذه المفردة القرآنية في قوله عز و جل : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[5]

- **الآيات :**

قال ابن حزم :[6]

أبان لنا الآيات في أنبيائه **** فأمكن بعد العجز فيها اقتدارها**

---

1 سورة النمل الآية 44 .

2 سورة الإنسان الآية 16 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 28 .

* **الجون** : مفرد و يجمع على جون ، و هو اللون الأسود .

* **المزن** : السحاب الذي يحمل المطر .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 28 .

5 سورة الواقعة الآية 69 .

6 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 170 .

و قوله أيضا : [1]

و شق له بدر السماء و خصه **** بآيات حق لا يحل مغارها***

يقول الله تقدست أسماؤه : ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ ﴾[2]

و يقول أيضا : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ ﴾[3].

و يقول تبارك و تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠ ﴾[4].

- **الإنس و الجن :**

يقول ابن حزم : [5]

ليست من الإنس إلا في مناسبة **** و لا من الجن إلا في التصاوير**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 171 .

* **المغار** : الحبل المحكم الفتل .

2 سورة النحل الآية 79 .

3 سورة يوسف الآية 105 .

4 سورة المؤمنون الآية 50 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 125 .

و من ذلك قوله عز و جل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ... ﴾[1] .

و قوله أيضا : ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ... ﴾[2] .

و يقول تعالى : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[3] .

- **مستقر و مستودع :**

ذكرها ابن حزم في رسالته في قوله : " **و جعلنا مستودع كلامه و مستقر دينه** " .[4]

يقول الله عز وجل في كتابه الحكيم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[5] .

---

1 سورة الأعراف الآية 179 .

2 سورة الأنعام الآية 130 .

3 سورة الجن الآية 5 ، 6 .

4 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 163 .

5 سورة الأنعام الآية 98 .

و في مثل قوله تبارك و تعالى أيضا : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾[1].

كانت هذه أهم الألفاظ و المفردات القرآنية التي أردت ذكرها في هذا الموضع و التي سنحت لي الفرصة باستخراجها ، و قد قمت بإيرادها مرتبة حسب نسب ورودها في المدونة.

غير أنه يمكن الإشارة هنا إلى أنه هناك من المفردات القرآنية ما يصعب حصرها في هذا الجزء اليسير من البحث ، و بهذا القدر من الأمثلة البسيطة و القليلة ؛ ذلك أن " الألفة و الألاف " تغص بالمفردات و المعاني القرآنية ، و ذلك تبعا لتأثر هذا الأديب و الفقيه بالقرآن الكريم ، و الذي جسده في هذه المدونة .

[1] سورة يس الآية 38 .

3 _ الفاصلة القرآنية :

لقي موضوع الفاصلة القرآنية عناية بالغة من قبل البلاغيين ، و قد ورد تعريفها من طرف كثير من العلماء .

" فالرماني " _ مثلا _ يعرفها بقوله : « **إنها حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني** »[1] .

أما " جلال الدين السيوطي " فيعرفها بأنها : « **كلمة آخر الآية كقافية الشعر و قرينة السجع** » [2] .

و يفسرها " الراغب الأصفهاني " تفسيرا لغويا بقوله : « **أواخر الآي و فواصل القلادة شذر يفصل به بينهما** »[3] .

قال الله تعالى : ﴿ **و لقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم ..** ﴾[4] .

و هي في القرآن الكريم تكون تابعة للمعاني ، و شديدة الاتساق و الانسجام و الترابط بما جاء قبلها و ما يجيء بعدها . كما أنها تعتبر من محسنات الكلام و دليل بلاغته و فصاحته . إضافة إلى الأثر النفسي الذي تثيره لدى المتلقي ، لما لها من إيقاع و جرس موسيقي رنان ؛ كما أنها تساعد على الحفظ و الاسترجاع .

و من أمثلتها في القرآن الكريم قوله عز و جل : **إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون .. في الحميم ثم في النار يسجرون .. ثم قيل أين ما كنتم تشركون ..** [5]

---

[1] مقبولة علي مسلم الحصيني ، أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت ، رسالة مقدمة استكمالا لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1428 هـ – 2007 م ، ص 171 .

[2] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 431 .

[3] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 420 .

[4] سورة الأعراف الآية 52 .

[5] سورة الأعراف الآية 71 – 73 .

و قد قسمها العلماء إلى أقسام هي : المطرف* ، المتوازي* ، المرصع* ، المتوازن* ، المتماثل* .

والشيء الذي أريد الوصول إليه من بعد هذا التقديم الموجز لموضوع الفاصلة القرآنية هو مدى تأثر الأديب ابن حزم الأندلسي بهذه الفاصلة في كتاباته . لاسيما أن المضطلع على آثاره و مؤلفاته يجد نفسه أمام زخم هائل من تلك الفواصل التي تعد أثرا هاما من آثار ثقافة الأديب الدينية ، و التي تعبر كذلك على مدى قوة علاقته بالمواضيع القرآنية .
و توظيفه لها يكشف عن صلته العميقة بالقرآن و معرفته لأسرار نظمه و إيقاعه ، و هذا ما سوف نلاحظه من خلال الشواهد التي سأقوم بعرضها في الصفحات الآتية من البحث .

و يمكن أن نلحظ استخدام ابن حزم الأندلسي للفاصلة القرآنية في رسالته " الطوق " في مواضع مختلفة ، و بحروف متعددة .

- **<u>الفاصلة بحرف السين</u> :**

و نمثل لها بقوله : [1]

أرعى النجوم كأنني كلفت أن ***** أرعى جميع ثبوتها و الخنس**

فكأنها والليل نيران الجوى **** قد أضرمت في فكرتي من جنس**

و كأنني أمسيت حارس روضة **** خضراء وشح نبتها بالنرجس**

لو عاش "بطليموس" أيقن أنني **** أقوى الورى في رصد جري الكنس**

و هي الفاصلة التي يمكن أن نجدها في أواخر آيات سورة التكوير :

---

* **المطرف** : أن تختلف الفاصلتان في الوزن و تتفقا في حروف الروي .
* **المتوازي** : أن تتفقا في الوزن و حروف الروي ، و لم يكن ما في الأولى مطابقا لما في الثانية .
* **المرصع** : أن تتفقا في الوزن دون الروي ، و يكون ما في الأولى مطابقا لما في الثانية .
* **المتوازن** : أن تتفقا في الوزن دون التقفية .
* **المتماثل** : أن يتساوا في الوزن دون القافية ، و يكون ما في الأولى مقابلا لما في الثانية .

[1] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 27 .

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ [1] .

كما يمكن أن نجد الفاصلة بحرف السين _ دائما _ في قول ابن حزم : [2]

كأنها حين تخطو في تأودها **** قضيب نرجسه في الروض مياس**

كأنما خطوها في قلب عاشقها **** ففيه من وقعها خطر و وسواس**

كأنما مشيها مشي الحمامة لا **** كد يعاب و لا بطئ به باس**

و هي فاصلة سورة الناس يقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [3].

_ **فاصلة حرف " الراء " :**

يقول أبو محمد علي : [4]

سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة **** لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا**

و إني و لو عادت و عدنا لعهدنا **** فكيف بمن من أهلها سكن القبرا**

و يا دهرنا فيها متى أنت عائد **** فنحمد منك العود إن عدت و الكرا**

فيا رب يوم في ذراها و ليلة **** وصلنا هناك الشمس باللهو و البدرا**

---

1 سورة التكوير الآيات 15 – 18 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 75 .

3 سورة الناس الآيات 1 – 6 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 174 .

و هو ما يمكن أن نجده في قوله سبحانه و تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

و قوله أيضا : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾[2].

و يقول ابن حزم أيضا في الطوق : [3]

خريدة* صاغها الرحمان من نور **** جلت ملاحتها عن كل تقدير**

لو جاءني عملي في حسن صورتها **** يوم الحساب و يوم النفخ في الصور**

لكنت أحظى عباد الله كلهم **** بالجنتين و قرب الخرد الحور**

و هذه الفاصلة يمكن أن نجدها في قوله سبحانه و تعالى :

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[4] .

---

1 سورة الطلاق الآية 7 – 9 .

2 سورة الشرح الآية 5 – 6 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 140 .

* **خريدة** : اللؤلؤة التي لم تثقب .

4 سورة العاديات الآية 9 – 11 .

و في قوله عز وجل : ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ﴾[1].

ويورد ابن حزم فاصلة حرف الراء _ دائما _ في قوله : [2]

برغبة لو إلى ربي دعوت بها **** لكان ذنبي عند الله مغفورا**

و لو دعوت بها أسد الفلا لغدا **** إضرارها عن جميع الناس مقصورا**

فجاد باللثم لي من بعد منعته **** فاهتاج من لوعتي ما كان مغمورا**

ويرد هذا في قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ۝٢٢ ﴾[3].

_ <u>الفاصلة بحرف الدال</u> :

كثيرة هي الأمثلة من هذا النوع من الفواصل ، و لا بأس بذكر بعض منها ؛ إذ يمكن أن نجدها في قول أبو محمد علي :

ودادي لك الباقي على حسب كونه **** تناهى فلم ينقص بشيء و لم يزد**

و ليست له غير الإرادة علة **** و لا سبب حاشاه يعلمه أحد**

إذا ما وجدنا الشيء علة نفسه **** فذاك وجود ليس يفنى على الأبد**

---

1 سورة الحديد الآية 5 – 6 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 73 .

3 سورة الإنسان الآية 20 – 22 .

و إما وجدناه لشيء خلافه **** فإعدامه في عدمنا ما له وجد** [1]

و هو ما يتطابق مع قوله سبحانه و تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[2].

و يقول أيضا : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾[3].

و في محل آخر من كتابه يقول ابن حزم : [4]

بشرى أتت واليأس مستحكم **** و القلب في سبع طباق شداد**

كست فؤادي خضرة بعدما **** كان فؤادي لابسا للحداد**

جلى سواد الغم عني كما **** يجلى بلون الشمس لون السواد**

و يمكن أن نعثر على هذه الفاصلة في القرآن الكريم في سورة النبأ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾[5].

و يقول سبحانه و تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٣ ﴾[6].

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 145 .

2 سورة الإخلاص الآيات 1 – 4 .

3 سورة البلد الآيات 1 – 5 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 103 .

5 سورة النبأ الآية 6 – 7 .

6 سورة النبأ الآية 12 .

_ **الفاصلة بحرف النون :**

استخدم ابن حزم هذه الفاصلة أقل من فاصلة حرفي : الراء و الدال ، غير أننا يمكن أن نجد أمثلة عنها في مثل قوله : [1]

كذب المدعي هوى اثنين حتما **** مثل ما في الأصول أكذب ماني**

ليس في القلب موضع لحبيبين **** و لا أحدث الأمور اثنان**

فكما العقل واحد ليس يدري **** خالقا غير واحد رحمان**

فكذا القلب واحد ليس يهوى **** غير فرد مباعد أو مدان**

و هذه الفاصلة نجدها _ خاصة _ في سورة الرحمان : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾[2].

و في قول علي ابن حزم كذلك : [3]

فإن أهلك هوى أهلك شهيدا **** و إن تمنن بقيت قرير عين**

روى هذا قوم لنا ثقات **** نأوا بالصدق عن جرح و مين**

و نجد هذه الفاصلة في قول الله سبحانه و تعالى :

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 38 .

2 سورة الرحمن الآيات 1 – 7 .

3 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 129 .

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] .

و قوله أيضا : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [2].

_ **الفاصلة بحرف الميم :**

قال ابن حزم الأندلسي : [3]

لا مثل يومك ضحوة التنعيم **** في منظر حسن و في تنعيم**

قد كان ذاك اليوم ندرة عاقر **** و صواب خاطئة و ولد عقيم**

أيام برق الوصل ليس بخلب **** عندي و لا روض الهوى بهشيم**

و قوله أيضا في موضع آخر : [4]

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي **** فروحي عندكم دوما مقيم**

و لكن للعيان لطيف معنى **** له سأل المعاينة الكليم**

و نجد هذه الفاصلة في قول الله تبارك و تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

1 سورة الواقعة الآية 90 – 92 .

2 سورة الدخان الآية 53 – 55 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 108 .

4 المصدر نفسه ، ص 11 .

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] .

و في قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] .

_ فاصلة حرف الباء :

و يمكن أن نمثل له بقول ابن حزم الأندلسي : [3]

إذا ما رنت فالحي ميت بلحظها **** و إن نطقت قلت السلام* رطاب**

كأن الهوى ضيف ألم مهجتي **** فلحمي طعام و النجيع شراب**

و قوله أيضا : [4]

صبور على الأزم الذي العز خلفه **** و لو أمطرته بالحريق سحاب**

جزوع من الراحات إن أنتجت له **** خمولا و في بعض النعيم عذاب**

و مثل هذا نجده في قول الله جل جلاله :

---

1 سورة الحج الآية 54 – 55 .

2 سورة النمل الآية 29 – 30 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 121 .

* **السلام** : بكسر السين ، جمع مفرده : السلمة و هي الحجارة .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 121 .

﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ ﴾[1].

ـ **فاصلة حرف الياء :**

يقول أبو محمد علي : [2]

منعت جمال وجهك مقلتيا **** و لفظك قد ضنبت به عليا**

أراك نذرت للرحمان صوما **** فلست تكلمين اليوم حيا**

و قد غنيت للعباس شعرا **** هنيئا ذا العباس هنيا**

فلو يلقاك عباس لأضحي **** لفوز قاليا و بكم شجيا**

و قوله أيضا : [3]

و قائل لي : هذا **** ظن يزيدك غيا**

فقلت : دع عنك لومي **** أليس إبليس حيا**

و مثل هذه الفاصلة نجدها في سورة مريم : ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾[4] .

ـ **فاصلة حرف التاء :**

---

1 سورة ص الآية 19 – 21 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 125 .

3 المصدر نفسه ، ص 140 .

4 سورة مريم الآية 14 – 16 .

يقول ابن حزم الأندلسي في كتابه : [1]

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى **** و سيان عندي فيك لاح و ساكت**

يقولون جانبت التصاون جملة **** و أنت عليهم بالشريعة قانت***

فقلت لهم : هذا الرياء بعينه **** صراحا و ربي للمرائين ماقت**

و يقول أيضا : [2]

متى جاء تحريم الهوى عن محمد **** و هل منعه في محكم الذكر ثابت**

إذا لم أواقع محرما أتقي به **** مجيئي يوم البعث و الوجه باهت**

و هذه الفاصلة نجد شبيهها من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾ [3] .

و قوله أيضا : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ ﴾ [4] .

كانت هذه أمثلة عن فاصلة حرف التاء ، و سأعرض فيما يأتي أمثلة و نماذج عن :

- **فاصلة حرف اللام :**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 48 .

* **القنوت** : الطاعة ، و الدعاء و القيام في الصلاة .

2 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 48 .

3 سورة الانفطار الآيات 1 – 4 .

4 سورة الانشقاق الآيات 1 – 4 .

و يمكن أن نمثل لها بقول ابن حزم : [1]

إذا مزجت الحق بالباطل **** جوزت ما شئت على الغافل**

و فيهما فرق صحيح له **** علامة تبدو إلى العاقل**

كالتبر إن تمزج به فضة **** جازت على كل فتى جاهل**

و قوله أيضا : [2]

رأيتك في نومي كأنك راحل **** و قمنا إلى التوديع و الدمع هامل**

و زال الكرى عني و أنت معا **** نقي و غمي إذا عاينت ذلك زائل**

فجددت تعنيقا و ضما كأنني **** علي من البين المفرق واجل**

و هذه الفاصلة نجدها في مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] .

- **فاصلة الألف المقصورة :**

يقول ابن حزم الأندلسي : [4]

كيف أذم الهوى و أظلمها **** و كل أخلاق من أحب نوى**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 77 .

2 المصدر نفسه ، ص 115 .

3 سورة الرعد الآية 13 ، 14 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 76 .

قد كان يكفي هوى أضيق به **** فكيف إذا حل بي نوى و هوى**

و مثل هذا نجده في قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾[1].

و كذا في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١ ﴾[2] .

و يقول ابن حزم أيضا : [3]

فما أبالي الكره من طاعة **** و لا أبالي سخطا من رضى**

إذا وجدت الماء لا بد **** أطفي به مشعل جمر الغضا***

و يقول في موضع آخر : [4]

وشى بيننا حاسد **** سيسأل عما وشى**

و لو شاء أن يرتشي **** على الوصل روحي ارتشى**

---

[1] سورة النجم الآيات 1 – 6 .

[2] سورة النازعات الآيات 39 – 41 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 59 .

* **الغضا** : نوع من الجمر يبقى مدة طويلة لدى احتراقه ، قبل أن يتحول إلى رماد .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 175 .

و مثل ذلك ما نجده في قوله جل و علا : ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾[1].

_ **فاصلة الهمزة** :

يقول ابن حزم في مدونته : [2]

و إذا قمت عنك لم أمش إلا **** مشي عان يقاد نحو الفناء**

في مجيئي إليك أحتث كالبد **** ر إن كان قاطعا للسماء**

و قيامي إن قمت كالأنجم العا **** لية الثابتات في الإبطاء**

و يمكن أن نجد مثل هذا في قوله تبارك و تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٣٨ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ ﴾[3].

_ **فاصلة حرف القاف** :

و يمكن أن نجدها في قول ابن حزم الأندلسي :

أراقك حسن غيبة لك تأريق **** و تبريد وصل سره فيك تحريق**

---

1 سورة عبس الآيات 5 – 10 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 24 .

3 سورة إبراهيم الآية 38 – 40 .

و قرب مزار يقتضي لك فرقه **** و شكا و لولا القرب لم يك تفريق**

و لذة طعم معقب لك علقما **** وصابا و فسح في تضاعيفه ضيق** [1]

و نمثل لهذه الفاصلة القرآنية بقوله عز و جل : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] .

ثم يقول تبارك و تعالى : ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] .

- **الفاصلة بحرف الكاف :**

يقول علي ابن حزم : [4]

دموع الصب تنسفك **** و ستر الصب ينهتك**

كأن القلب إذ يبدو **** قطاة ضمها شرك**

و بالإمكان إيجاد هذه الفاصلة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ ﴾[5]).

كانت هذه نماذج عن الفاصلة القرآنية و التي نجدها حاضرة بقوة في رسالة ابن حزم ، و بها نكون قد ختمنا هذا المبحث من الفصل و الذي تعرضت فيه كما سبق و أن أشرت

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 163 .

2 سورة الحج الآية 22 .

3 سورة الحج الآية 29 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 49 .

5 سورة الشرح الآيات 1 – 3 .

إليه من قبل إلى : الأثر القرآني في " الطوق " من خلال التناص أو الاقتباس ، الألفاظ و التراكيب ، إضافة إلى الفاصلة القرآنية .

1 _ الأساليب القرآنية :

تمهيد :

لا أريد التوسع في الجوانب التي يتناولها الأسلوب ، و إنما سأتوقف في هذا الجزء من البحث على أهم الجوانب الأسلوبية التي تكمل عناصر هذا البحث من حيث اللفظ و المعنى ، الفاصلة ، و التناص ، و ذلك بتناول أهم الخصائص و السمات و التي تعبر عن وسائل الأديب التعبيرية المستمدة من القرآن الكريم لنرى كيف ظهرت آثاره في مدونة ابن حزم " الألفة و الألاف " .

و قد حظي الأسلوب بعناية و اهتمام الكثير من الباحثين و النقاد على حد سواء ، نتيجة للعلاقة المتينة التي تربطه (الأسلوب) بالدراسات القرآنية التي قامت لمعرفة سر الإعجاز القرآني .

و كان هناك العديد من النقاد الذين تناولوا هذه القضية في مؤلفاتهم و من بين هؤلاء النقاد و الباحثين نجد :

_ الجاحظ في كتابه : " البيان و التبيين " .

_ ابن قتيبة و كتابه : " تأويل مشكل القرآن " .

_ حازم القرطاجني : " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " .

_ عبد القاهر الجرجاني : " دلائل الإعجاز " ، و كذا " أسرار البلاغة " .

أما من المحدثين فهناك :

_ عبد السلام المسدي : " الأسلوبية و الأسلوب " .

_ أحمد الشايب : " الأسلوب " .

_ عبد المنعم خفاجي : " الأسلوب و البيان العربي " .

_ أحمد أحمد بدوي : " أسس النقد الأدبي عند العرب " ... و غيرها من المؤلفات التي أسهمت في تطوير البحث الأسلوبي عند العرب .

و كما سبق و أن ذكرنا فقد ارتبط الأسلوب بالدراسات القرآنية ارتباطا وثيقا ، نظرا لكون الأسلوب أحد أهم مصادر الإعجاز القرآني ، لذلك فقد حاول الباحثون معرفة أهم خصائص و سمات هذا الأسلوب القرآني ، و التي نذكر منها : البلاغة و الإيجاز ، البيان و الفصاحة ، قوة و متانة العبارة ، التآلف بين الألفاظ و المعاني ... و قد سبق و أن تطرقنا في عنصر سابق من هذا البحث إلى سمات هذا الأسلوب بشيء من الشرح و التفسير .

و سأتطرق في هذا الجزء من البحث إلى أهم الأساليب التي تظهر التأثر الكبير لهذا الأديب و الفقيه بالقرآن الكريم ، و تعكس التداخل المعنوي الموجود بين مدونته " طوق الحمامة " ، و النص القرآني .

أ _ الأساليب الخبرية :

من الأساليب القرآنية التي تأثر بها ابن حزم في مدونته : الأسلوب الخبري . و أمثلته في " الطوق " كثيرة ، و يمكن أن نجدها في قوله : [1]

و أبعد خلق الله من كل حكمة **** مفضل جرم فاحم اللون مسود**

به وصفت ألوان أهل جهنم **** و لبسة باك مثكل الأهل محتد**

و من لاحت الرايات سودا تيقنت **** نفوس الورى أن لا سبيل إلى الرشد**

ففي البيتين الأول و الثاني يصف لنا ابن حزم كرهه للون الأسود كونه يعد من أبعد الألوان عن الله تعالى ، و لأنه لون الحزن و البكاء ، و هو المعنى الذي يمكن أن نجده في مثل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [2] .

فابيضاض الوجه عبارة عن المسرة ، أما اسودادها فمن الحزن و الشقاء . " و هي وجوه الشقاوة و الشر ، و الفرقة و الاختلاف هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي و الهوان و الذلة و الفضيحة " . [3]

و يقول أيضا : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [4] .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 41 .

2 سورة آل عمران الآية 106 .

3 عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان – تفسير سورة آل عمران – ، ص 142 .

4 سورة النحل الآية 58 .

و في نفس المعنى _ دائما _ يقول الله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] .

و كلها معان قرآنية تدل على الحزن ، و العذاب و سوء الخاتمة ، و البعد عن الله سبحانه و تعالى .

كان هذا فيما يخص مضمون البيت الأول و الثاني ، أما البيت الثالث منه :

و من لاحت الرايات سودا تيقنت **** نفوس الورى أن لا سبيل إلى الرشد**

فنجد معناه و مضمونه في قوله تبارك و تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] .

و في موضع آخر يقول ابن حزم : [3]

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى **** و سيان عندي فيك لاح و ساكت**

يقولون تجانبت التصاون جملة **** و أنت عليهم بالشريعة قانت**

فقلت لهم : هذا الرياء بعينه **** صراحا و ربي للمرائين ماقت**

إذا لم أواقع محرما أتقي به **** مجيء يوم البعث و الوجه باهت**

---

1 سورة يونس الآية 27 .

2 سورة غافر الآية 29 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 48 .

و يستعمل الله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم الأسلوب الخبري بغاية إيصال المعنى إلى الناس ، و إبلاغهم الرسالة و تثبيتها في الذهن . و هو نفس الغرض الذي استعمله ابن حزم في مدونته ، و في الأبيات السابقة يمكن أن نلحظ ذلك .

ففي البيت الثاني مثلا :

يقولون تجانبت التصاون جملة **** و أنت عليهم بالشريعة قانت**

نجد ابن حزم يخبر بأنه من العباد الزهاد القانتين ، المتقين الله حق تقاته أما المضمون فمقتبس من قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]

و **الشريعة** : هي الطريق و السبيل و السنة التي سنها الله تعالى في عباده ، و هي تختلف باختلاف الأمم و الأزمنة ، غير أن الرابط بين كل الشرائع هو العدل و الالتزام بما جاء في كتاب الله عز و جل و تقى الله ، و هو نفس الأمر الذي شاع حول ابن حزم _ حسب البيت الشعري _ فهو من متبعي الشريعة الإسلامية و العارفين بالله و شرعه و دينه و حكمه .

و في البيت الخامس يقول في عجز البيت : " **مجيء يوم البعث و الوجه باهت** " .

و فيه إقرار منه و إيمان قوي بوجود يوم القيامة ، و أنه لابد و أن يبعث إلى الله الواحد القهار .

[1] سورة المائدة الآية 48 .

و هو المعنى الذي يمكن أن نجده في قوله تبارك و تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[1].

و في سورة الأنعام يقول الله عز و جل : ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

و يمكن التأكيد على أمر في هذا المجال ، و هو أن كل الأمثلة و النماذج الواردة في هذا العنصر إنما هي من الأساليب الخبرية ، غير أن ما ذكرته بالشرح إنما كان للاستشهاد على مثل هذه الأساليب و المعاني في القرآن الكريم .

و يمكن أن نمثل له بقول ابن حزم أيضا : [3]

و يندم يوم البعث جاني صغارها **** و تهلك أهليها هناك كبارها**

ستغبط أجساد و تحيا نفوسها **** إذا ما استوى أسرارها و جهارها**

إذا حفهم عفو الإله و فضله **** و أسكنهم دارا حلالا عقارها***

و نستشهد للبيت الأخير منه ، بقول الله جل وعلا : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[4].

و مثاله في الطوق أيضا : [5]

---

1 سورة المجادلة الآية 6 .

2 سورة الأنعام الآية 36 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 168 .

* **العقار** : الخمر .

4 سورة البقرة الآية 52 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 165 .

و لا تقي الورى كفاسقهم **** و ليس صدق الكلام و كذبه**

فلو أمنا من العقاب و لم **** نخش من الله متقى غضبه**

و لم نخش ناره التي خلقت **** لكل جاني الكلام محتقبه**

و كلها أمثلة عن الأساليب الخبرية الواردة في " الطوق " ، و مثلها كثير . أما العنصر القادم فسأتطرق فيه إلى الأساليب الإنشائية .

ب _ الأساليب الإنشائية :

ينقسم أسلوب الإنشاء إلى قسمين ، طلبي و غير طلبي . فمن موضوعات و أغراض الإنشاء الطلبي في أسلوب ابن حزم : الاستفهام ، الأمر ، التمني ، و النداء ، و من موضوعات الإنشاء الغير طلبي نجد : القسم و التعجب .

الأمر :

ففي أسلوب الأمر يطالعنا قول ابن حزم : [1]

كفاك من كل ما وعظت به **** ما قد أراك الزمان من عجبه**

دع عنك دارا تفنى غضارتها **** و مكسبا لاعبا بمكتسبه**

ففي هذين البيتين يدعو ابن حزم إلى ترك الدنيا و زينتها لأنها فانية لا تدوم ، و في هذا المعنى يقول أيضا : [2]

و لا تتخير فانيا دون خالد **** دليل على محض العقول اختيارها**

فهذه المعاني الجليلة ، و الأفكار مستمدة في معظمها من آيات و أفكار الذكر الحكيم ، و قد جاءت بأسلوب بسيط ينسجم مع مكانة أديبنا الاجتماعية و أفكاره و التزامه الديني . و يستعمل فيها أسلوب الأمر الذي خرج عن غرضه الأصلي إلى غرض بلاغي هو : النصح و الإرشاد .

و في موضع آخر من مدونته يقول :

أقصر عن لهوه و عن طربه **** و عف في حبه و في غربه**

يا نفس جدي و شمري و دعي **** عنك اتباع الهوى على لغبه**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص . 164 .

2 المصدر نفسه ، ص 167 .

و سارعي في النجاة و اجتهدي **** ساعية في الخلاص من كربه** [1]

و يستعمل الأمر أيضا في قوله : [2]

لا تلم من عرض النفس لما **** ليس يرضى غيره عند المحن**

لا تقرب عرفجا من لهب **** و متى قربته قامت دخن**

و كلها أمثلة عن أسلوب الأمر في رسالة ابن حزم جاءت بغرض النصح و الإرشاد .

و نجد هذا الأسلوب في مثل قول ابن حزم : [3]

و لا تسع في الأمر الجسيم تهازؤوا **** و لا تسع جهرا في اليسير تريده**

و قابل أفانين الزمان متى يرد **** عليك فإن الدهر جم وروده**

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تبارك و تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]

فهذه الآيات نجدها تعج بأسلوب الأمر ، و فيها يأمر الله تعالى آل إسرائيل بالتقوى و الوفاء بعهد الله ، و الإيمان و التصديق بما أنزل الله عليهم من الحق ، و أمرهم بالتقوى و الصلاة و الزكاة ، و غيرها من مكارم الأخلاق .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 164 .

2 المصدر نفسه ، ص 161 .

3 المصدر نفسه ، ص . 86 .

4 سورة البقرة الآيات . 40 _ 43 .

كانت هذه أمثلة عن أسلوب الأمر في رسالة " طوق الحمامة " ، و أخرى من القرآن الكريم . و سأقدم فيما يلي أسلوب آخر من الأساليب الإنشائية ، و هو أسلوب الاستفهام .

الاستفهام :

من الأساليب القرآنية التي تأثر بها الأديب و الشاعر ابن حزم الأندلسي ، و الاستفهام كما سبق و أن ذكرنا من قبل هو طلب الفهم ، و معرفة المجهول ، و قد يخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام .

و يمكن التمثيل لهذا الأسلوب بقول ابن حزم الأندلسي : [1]

و هل يتمنى محكم الرأي عيشة **** و قد حان من دهم المنايا مزارها**

و كيف تلذ العين هجعة ساعة **** و قد طال فيما عاينته اعتبارها**

و كيف تقر النفس في دار نقلة **** قد استيقنت أن ليس فيها قرارها**

و أنى لها في الأرض خاطر فكرة **** و لم تدر بعد الموت أين محارها**

أليس لها في السعي للفوز شاغل **** أما في توقيها العذاب ازدجارها**

و قد جاء الاستفهام هنا بغرض التعجب . و استعمل أبو محمد علي أدوات استفهام مختلفة و هي : هل ، كيف ، أنى ، و الهمزة .

ونجده يستخدم الاستفهام أيضا في قوله : [2]

فكيف تبصر فعل الدمع منتصفا **** منها بإغراقها في دمعها الدرر**

و أمثلة هذا الأسلوب كثيرة في مدونة " طوق الحمامة " ، و تختلف أغراضها و مواضيعها و أدواته من موضع إلى آخر و كذلك هو في القرآن الكريم ، و يمكن أن نورد له أمثلة و نماذج عنه من كتاب الله العزيز .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص . 166 .

2 المصدر نفسه ، ص . 33 .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾[1].

و يقول أيضا : ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ ﴾[2] .

و جاء في القرآن الكريم هذا الأسلوب في قوله تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ ﴾[3].

و كلها أساليب استفهامية جاءت بغرض التعجب ، و الأداة التي استخدمها الله تعالى هي : " الهمزة " .

و يمكن أن يأتي بغرض التهديد و الوعيد في مثل قوله تبارك و تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾[4] .

و يأتي بغرض التهديد و الوعيد دائما في قوله الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ ﴾[5] .

1 سورة الشعراء الآية 111 .
2 سورة ص . الآية 63 .
3 سورة هود الآية 78 .
4 سورة الصافات الآية 73 .
5 سورة القارعة الآية 3.

و يأتي أيضا بغرض التقرير في مثل قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

كانت هذه نماذج عن أسلوب الاستفهام في رسالة طوق الحمامة ، و أخرى من القرآن الكريم ، و سأعرض فيما يأتي نماذج عن أسلوب قرآني آخر من الأساليب الإنشائية و هو : أسلوب النداء .

أسلوب النداء :

تأثر الشاعر و الأديب ابن حزم الأندلسي بأسلوب القرآن عامة ، و بأسلوب النداء خاصة كان كبيرا ، و هو ما نلحظه بشكل ملفت في مؤلفاته .

و النداء غرض إنشائي الهدف منه لفت الانتباه ، و له حروف عديدة نذكر منها : أي ، يا ، وا ، هيا ، أيا ، و الهمزة .

و يمكن أن نمثل له (النداء) بقول ابن حزم : [2]

و يا خير دار تركت حميدة **** سقتك الغوادي ما أجل و ما أسرى**

و يا مجتلي تلك البساتين حفها **** رياض قوارير غدت بعدنا غبرا**

و يا دهر بلغ ساكنيها تحيتي **** و لو سكنوا المروين أو جازوا النهرا**

و يقول في موضع آخر : [3]

فوا جسمي المضنى و واقلبي المغرى **** و وانفسي الثكلى و واكبدي الحرى**

و يا هم ما أعدي و يا شجر ما أبدي **** و يا وجد ما أشجى و يا بين ما أقرا**

---

1 سورة الرحمن الآية 34 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص . 173 .

3 المصدر نفسه ، ص . 174 .

و يا دهر لا تبعد و يا عهد لا تحل **** و يا دمع لا تجمد و يا سقم لا تبرا**

و كلها أمثلة عن أسلوب النداء في رسالة " طوق الحمامة " ، و التي نلحظ فيها استخدام ابن حزم لثلاث أدوات نداء و هي : وا ، يا ، أي .

غير أن الأداة غالبة الاستعمال هنا هي : " يا " . و تجدر الإشارة إلى أنه لم ترد أدوات أخرى من أدوات النداء في هذه المدونة .

أما الملاحظة الثانية التي يجب ذكرها و الإشارة إليها في هذا المقام هي أن أسلوب النداء في القرآن الكريم إنما يأتي في الغالب مقرونا بالأمر ، و هو نفس الأمر الذي نلحظه في رسالة ابن حزم ؛ إذ إننا نجده يورد النداء متبوعا بالأمر ، غير أنه كثيرا ما يخرج به (النداء) عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى بلاغية و هي : الطلب ، الاستعطاف ، التهديد ، و الوعيد ، النهي ... و غيرها من الأغراض التي أضفت على أسلوب هذا الكتاب و لغته جمالا فنيا و رونقا أدبيا .

و لا بأس بأن اذكر هنا أمثلة من النص القرآني لتدعيم و تثبيت ما ذهبنا إليه مسبقا.

ففي سورة المدثر يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾[1] .

و نجد قوله تعالى : ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩ ﴾[2] .

و في هذه الآيات يشكو النبي صلى الله عليه و سلم كفر قومه و قلة إيمانهم متحزنا و متحسرا على ذلك . [3]

---

[1] سورة المدثر الآيات 1 _ 3 .

[2] سورة الزخرف الآيتان 88 ، 89 .

[3] عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (تفسير سورة الزخرف) ، ص 771 .

فجاء بالنداء هنا و كأنه يرفع صوته بالتضرع و الدعاء ليغفر الله لقومه و يعفو عنهم .

و في موضع آخر من القرآن الكريم نجد قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[1] .

و النداء هنا يتبعه أمر حقيقي من الله تعال لعباده لأن يتقوه و يخافوه و يرهبوه .

و يقول أيضا : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ ... ﴾[2] .

و يمكن أن يأتي النداء مقرونا بجملة استفهام نحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[3] .

و قوله : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[4] .

و بذلك نكون قد قدمنا نماذج من القرآن الكريم حول أسلوب آخر من أساليب الإنشاء ، و هو أسلوب النداء .

و فيما يأتي سأقوم بعرض أمثلة و نماذج عن أسلوب آخر ، و هو أسلوب التمني .

---

1 سورة الزمر الآية 16 .

2 سورة النور الآية 31 .

3 سورة مريم الآية 42 .

4 سورة يوسف الآية 39 .

أسلوب التمني :

من الأساليب الواردة هي الأخرى بكثرة في رسالة ابن حزم ، و بالإمكان عرض نماذج منها فيما يأتي :

يقول ابن حزم : [1]

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى **** يبين بينهم عني فقد وقفنا**

و يقول أيضا : [2]

علي أحظى بالفوز فيها و أن **** أنجو من ضيقه و من لهبه**

و في هذا البيت يتمنى ابن حزم أن يكون من الفائزين بجنة الخلد ، و أن ينجو من عذاب الله و سخطه و ناره يوم القيامة .

و يقول في مدونته : [3]

لعلك بعد عتبك أن تجودا **** بما منه عتبت و أن تزيدا**

و هو هنا يرجو الوصال من محبوبه بعد سماع العتب و اللوم .

أما في القرآن الكريم فيمكن أن نجد التمني في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ ﴾[4] .

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 110 .

2 المصدر نفسه ، ص 164 .

3 نفسه ، ص 84 .

4 سورة الأنعام الآية 27 .

و يقول أيضا : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

و يقول تبارك و تعالى في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2] .

و في غرض التمني دائما نجد قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ ﴾[3] .

كانت تلك أمثلة عن أسلوب التمني في رسالة " الألفة و الألاف " و أخرى من القرآن الكريم استشهدنا بها على ما تم عرضه و تقديمه .

أما الشيء الملاحظ فهو غلبة أداة التمني " ليت " في القرآن الكريم على بقية الأدوات ، و كذلك الأمر بالنسبة لأسلوب ابن حزم في " الطوق " ، و هو ما يظهر مدى تأثر هذا الأديب بالأسلوب القرآني و اقتباسه منه ، حتى في أدق تفاصيله .

1 سورة يس الآية 26 .

2 سورة غافر الآية 36 .

3 سورة الشورى الآية 17 .

ج ـ أسلوب الحوار :

جاء في كتاب " المفردات " للراغب الأصفهاني تعريف الحوار بأنه مأخوذ من من مادة حور ، حاور ، يحاور ، محاورة . يقول : « **قيل حار بعد ما ما كان من المحاورة ، و الحوار : المرادة في الكلام ، و منه التحاور** » [1].

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾[2] .

و الحوار بذلك بمعنى المجادلة و المجاوبة في الكلام .

أما اصطلاحا فهو : « **حديث يجري بين شخصين أو أكثر** » [3] .

و تكمن أهميته كونه يخلق التفاعل بين الناس و التواصل بين أفراد المجتمع ، يؤدي إلى الكشف عن الحقيقة خاصة إذا كانت غائبة ، يثبت روح الجماعة و التعاون ، نبذ الأنانية و حب الذات و حب التملك و الاستفراد بالرأي [4] .

و هو بذلك نوع من الحديث الذي يجري بين طرفين ، و يتم فيه تداول الكلام بطريقة متكافئة ؛ بحيث لا يستحوذ أحد الطرفين على الحديث دون الآخر .

و يعد هذا الأسلوب أكثر الأساليب استحواذا على كتاب ابن حزم ، حيث نجد أن أسلوب الحوار يحوز على مساحة واسعة من الطوق مقارنة بالأساليب الأخرى التي نجدها في الكتاب ، و يأتي بدرجة أكبر من الأسلوب القصصي ، الذي يشغل هو الآخر حيزا كبيرا من الرسالة ، بينما نجد الأساليب الخبرية و الإنشائية تأتي بنسب قليلة بالمقارنة مع الأسلوبين السابقين .

---

1 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص . 441 .

2 سورة المجادلة الآية 1 .

3 سلمان خلف الله ، الحوار و بناء شخصية الطفل ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1419 هـ _ 1998 م ، ص . 51 .

4 المرجع نفسه (ص . ن) .

و يمكن أن أقدم فيما يأتي أمثلة عن أسلوب الحوار الواردة في رسالة ابن حزم التي يقول فيها : [1]

و سائل لي عما لي من العمر **** و قد رأى لي الشيب الفودين* و العذر**

أجبته : ساعة لا شيء أحسبه **** عمرا سواها بحكم العقل و النظر**

فقال لي : فكيف ذا ؟ بينه لي فلقد **** أخبرتني أشنع الأنباء و الخبر**

فقلت : إن التي قلبي بها علق **** قبلتها قبلة يوما على خطر**

و في موضع آخر يقول : [2]

معهود أخلاقك قسمان **** و الدهر فيك اليوم صنفان**

فإنك النعمان فيما مضى **** و كان للنعمان* فيك يومان**

و نجد في رسالته قوله :

يقول لي الطبيب : بغير علم **** تداو فأنت يا هذا عليل**

– – – – **– – – –**

فقلت : أبن عني قليلا **** فلا و الله تعرف ما تقول**

فقال : أرى نحولا زاد جدا **** و علتك التي تشكو ذبول**

فقلت الذبول تعل منه الـ **** الجوارح و هي حمى تستحيل**

– – – – **– – – –**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص . 73 .

* **الفود** : جانب الرأس مما يلي الأذن .

2 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص . 90 .

* **النعمان** : الدم .

فقال أرى التفاتا و ارتقابا **** و أفكارا و صمتا لا يزول**

و أحسب أنها السوداء فانظر **** لنفسك إنها عرض ثقيل**

فقلت : كلامك ذا محال **** فما للدمع من عيني يسيل**

_ _ _ _ _ _ _ _

فقلت دوائي منه دائي **** ألا في مثل ذا ضلت عقول** [1]

و هذا الأسلوب نجده في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ، و يمكن أن أعرض أمثلة عنه لنعرف مدى تأثر أديبنا بأسلوب القرآن الكريم و لغته و أفكاره .

ففي سورة البقرة _ مثلا _ نجد قوله تبارك و تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2].

و في سورة الصف يصادفنا قول الله تبارك و تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [3].

و بالإمكان أن أعرض مثالا آخر من القرآن الكريم أراه الأكثر وضوحا و جلاء لتبيان هذا الأسلوب في " الطوق " ، و نجده في سورة مريم يقول الله تعالى :

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 118 .

2 سورة البقرة الآية 13 .

3 سورة الصف الآية 5 .

﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ﴾[1] .

و بذلك نكون قد قدمنا أسلوبا آخر من الأساليب القرآنية ، و هو أسلوب الحوار . إضافة إلى ما قد سبق ذكره من الأساليب الخبرية و الإنشائية، و قد وقفت عند كل أسلوب بذكر شيء من الأمثلة من مدونة " طوق الحمامة " و ما يتداخل معها من النص القرآني .

و في ختام هذا الجزء كان لزاما علينا أن نشير إلى ملاحظة فيما يخص هذا العنصر و هو الأسلوب و هي أنه (الأسلوب) حمال أوجه ؛ أي أنه يحتمل الوجهين معا أي المبنى و المعنى في آن واحد .

أما المبنى فتتصل به دراسة الاقتباسات و التناصات ، و كذا الفاصلة أو ما يعرف في الشعر العربي بالقافية ، و يقابلها التجنيس في النثر . و يضاف إليهما دراسة الألفاظ و التراكيب و كل ما يتعلق به من حروف و أنظمة و أبنية الكلام . و هو ما قمت بعرضه في المبحث الأول من هذا الفصل ، المخصص كما سبق و أن ذكرت إلى الجانب التطبيقي .

أما فيما يخص الجانب الثاني منه " المعنى " ، فإنه يهتم بدراسة و تحليل المعاني و الدلالات و الأفكار المتداخلة بين رسالة " الألفة و الألاف " و بين " القرآن الكريم " . و هو ما تولى المبحث الثاني طرحه و تقديمه .

[1] سورة مريم الآيات 18 _ 21 .

2 _ المعاني القرآنية :

تمهيد :

يتناول هذا الجانب المعاني القرآنية التي استمدها ابن حزم الأندلسي من القرآن الكريم و كيفية تعامله معها ، وكيف وظفها في مدونته .

و من أبرز المعاني التي تناولتها في هذا العنصر ، ما تردد على لسان ابن حزم في رسالته ، و هي مختلفة نذكر منها : أسماء الله تعالى و صفاته ، الموت و الحياة ، الصبر ، يوم القيامة ، الجنة و النار ، الإيمان بالله ... و غيرها من المعاني التي سأذكر البعض منها على سبيل المثال فقط نظرا لتعذر ذكرها جميعا ، و ذلك تفاديا للتكرار بسبب إيراد بعض هذه المعاني في عناصر سابقة من هذا البحث ، و كذا عدم اتساع المجال لذكرها جميعها .

و لكن و قبل الغوص في هذا العنصر بالتحليل لابد أولا من عرض بعض التعاريف و المفاهيم فيما يخص المعنى .

مفهوم المعنى :

إن موضوع المعنى من المواضيع التي أسالت الكثير من الحبر ، و التي تناولها النقاد و الباحثون بالدرس و التحليل ؛ بحيث لا يكاد يخلو كتاب من هذه القضية ، أو أن ينقد ناقد دون التطرق إليها ، كونها تعد قضية جوهرية فهي أساس لكل القضايا النقدية الأخرى ، و لا بأس بأن نذكر في هذا المجال بعضا من التعاريف التي وردت فيه .

يعرفه " عبد القاهر الجرجاني " بقوله : « **و يقصد بالمعنى الدلالة المعجمية للفظ ، أما معنى المعنى فهو تلك الدلالة المجازية التي تتفرع عن الدلالة الأصلية ، و هو موضوع الفن التعبيري في رأيه** » [1] .

[1] عثمان موافي ، الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم _ تاريخها و قضاياها _ ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1979 ، ص . 212 .

أما " السكاكي " فيعرفه بالقول : « **هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان ، و غيره ليحترز بالوقوف عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره** » [1] .

و من خلال التعريفين السابقين نخلص إلى نتيجة مفادها أن اللفظ و المعنى في النقد الأدبي متلازمان ، فهما وجهان لعملة واحدة ، و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفصل أحدهما عن الآخر ؛ إذ إنه لا وجود للمعنى بدون اللفظ ، و لا قيمة للفظ بغير المعنى . و لا تظهر أهمية أحدهما إلا إذا دخلا معا في سياق واحد ، و لا تفهم العلاقة بينهما إلا في إطار هذا السياق .

و المتأمل لقضية اللفظ و المعنى ، و آراء النقاد فيها يدرك أنهم (النقاد) يتفقون في الأغلب على أن :

« **المقصود باللفظ هو الإطار الخارجي أو الصياغة التعبيرية ، و أن المعنى هو محتوى هذه الصياغة و مادتها** » [2] .

كانت هذه لمحة بسيطة و مختصرة عن مفهوم المعنى في النقد العربي القديم ، قدمتها كفرش و توطئة للدخول إلى هذا العنصر .

أما الآن فسأعرض بعض المعاني القرآنية الواردة في كتاب ابن حزم الأندلسي " الألفة و الألاف " بالأمثلة ، و شيء من الشرح و التحليل و تأتي في مقدمة هذه المعاني:

أسماء الله تعالى و صفاته :

و قد وردت أسماؤه تعالى في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ، و في آيات عديدة ، و يمكن أن نذكر فيما يأتي بعضا منها .

---

1 السكاكي ، مفتاح العلوم ، ظبطه : نعيم زرزور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص. 161

2 عثمان موافي ، الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم ، ص . 211 .

ففي سورة الحشر _ مثلا _ نجد قوله تبارك و تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

و قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[2] .

و يقول الله جل و علا : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3] .

فهذه بعضا من أسماء الله الحسنى التي استغلها الأدباء الأندلسيون في أدبهم للاستشهاد بها ، ومن هؤلاء الأدباء نجد ابن حزم الأندلسي ، الذي نلحظ تأثره الكبير بمعاني القرآن الكريم بصفة عامة و أسمائه تعالى بصفة خاصة ، و ذلك ما يظهر جليا في نتاجه عامة ، و في رسالته " طوق الحمامة " التي لا تخو صفحة من صفحاتها دون ذكر أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته ، أو حتى تلميح إليها .

1 سورة الحشر الآيات . 22 _ 24 .

2 سورة الحديد الآية . 3 .

3 سورة الأنعام الآية . 103 .

و سأقدم فيما يأتي بعض مظاهر هذا التأثر من رسالة (طوق الحمامة) بأسماء الله الحسنى و صفاته العلى .

و من أسمائه عز و جل نجد :

الله ، رب :

و اللذان يمكن أن نمثل لهما بقول ابن حزم : [1]

و الحمد لله في تفضله **** و قمعه للزمان في نوبه**

و في قوله : " **و الله المستغفر و المستعان لا رب غيره** " . [2]

و يقول أيضا : " **و يخافون الله ربهم** " . [3]

و كلها نماذج و صور من تأثر أديبنا و شاعرنا أبو محمد علي ابن حزم بمعاني القرآن الكريم و بأسماء الله تعالى ، و سأعرض فيما يأتي سلسلة من الآيات القرآنية الجليلة لنوضح مدى هذا التأثر و التفاعل بالمعاني القرآنية عامة و بأسمائه تعالى خاصة ، فيما يخص هاذين الاسمين العظيمين ، و لعل خير ما نبتدئ به قوله تعالى في سورة الفاتحة :

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4].

و في سورة يوسف يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ ﴾ [5] .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 166 .

2 المصدر نفسه ، ص 15 .

3 المصدر نفسه ، ص 134 .

4 سورة الفاتحة الآية 1 .

5 سورة يوسف الآية 23 .

و يقول الله عز و جل في سورة المؤمنون : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] .

و كلها آيات أردت إيرادها في هذا المعنى لأوضح التفاعل الموجود بين " الرسالة " و بين النص القرآني .

و من الأسماء الواردة في المدونة أيضا :

الرحمن :

يقول ابن حزم الأندلسي : [2]

و في طاعة الرحمن يقعدك الونى **** و تبدي أناة لا يصح اعتذارها**

و يقول أيضا : [3]

خريدة صاغها الرحمن من نور **** جلت ملاحتها عن كل تقدير**

و في قوله : " **و الوقوف بين يدي الملك العزيز ، شديد العقاب الرحمن الرحيم ، الذي لا يحتاج إلى بينة** " . [4]

و من الآيات القرآنية التي نوردها في هذا الموقف ، للاستدلال بها على ذلك نجد قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ ﴾ [5] .

---

1 سورة المؤمنون الآيات 85 – 87 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 167 .

3 المصدر نفسه ، ص 140 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر نفسه ، ص 159 .

5 سورة الرحمن الآية 1 .

و يقول أيضا : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1].

و في قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[2] .

و أسماء الله تعالى الواردة في " الطوق " كثيرة ، نذكر منها : الرحيم ، الرزاق ، الجبار ، الخالق ، القوي ، الإله ، الحق ، الرقيب ، العفو ، الكريم ... و غيرها من الأسماء ، و لكنها جاءت بصفة قليلة ، و يعتبر اسمه تعالى " الله " هو الأكثر حضورا في " طوق الحمامة " . و يمكن أن أقدم نماذج من أسمائه تعالى الأخرى الواردة في الرسالة .

يقول ابن حزم : [3]

كم متعب في الإله مهجته **** راحته في الكريم من تعبه**

و يقول أيضا : [4]

شكر لرب لطيف قدرته **** فينا كحبل الوريد في كثبه**

و من أسمائه تعالى أيضا : [5]

رازق أهل الزمان أجمعهم **** من كان من عجمه و من عربه**

---

1 سورة الحشر الآية 22 .

2 سورة الفاتحة الآية 2 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 165 .

4 المصدر نفسه ، ص 165 .

5 ابن حزم الأندلسي ، المصدر نفسه ، ص 165 .

و يقول ابن حزم أيضا : [1]

توافت ببطن الأرض و انتشت شملها **** وعاء إلى ذو ملك مستعارها**

و نجد في مدونته قوله : [2]

و مظلمة من نالها متسلط **** مدل بأيد من ذي العرش ثارها**

كما يحضرنا اسم " الجبار " في مثل قول ابن حزم : [3]

بحضرة جبار رفيق معاقب **** فتحصى المعاصي كبرها و صغرها**

و يقول : [4]

و من خلق الأفلاك فامتد جريها **** و أحكمها حتى استقام مدارها**

و منها أيضا : [5]

و من إن ألمت بالعقول رزية **** فليس إلى حي سواه افتقارها**

و نجد من أسمائه " العليم " ، يقول ابن حزم : " **و مع هذا يعلم الله و كفى به عليما** " [6]

و منها " الرقيب " : [7]

و رب رقيب أرقبوه فلم يزل **** على سيدي عمدا ليبعدني عنه**

و يورد أبو محمد أسماء الله تعالى : القادر ، الملك ، الجليل في بيته : [8]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص . 167 .

2 المصدر نفسه ، (ص . ن) .

3 نفسه ، ص . 168 .

4 نفسه ، ص . 170 .

5 المصدر نفسه ، ص 170 . .

6 نفسه ، ص 139 .

7 المصدر نفسه ، ص 141 .

8 المصدر نفسه ، ص 141 .

و داء ليس يدريه سوائي **** و رب قادر ملك جليل**

و يمكن التدليل على هذه الأمثلة بالإتيان بآيات من الذكر الحكيم ، يقول الله تعالى :

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [1].

و يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾ [2]

و قوله عز و جل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [3] .

كان هذا آخر ما أردت ذكره في هذا الجزء ، و تجدر الإشارة إلى أن أسماء الله تعالى و صفاته و الموجودة في " الرسالة " كثيرة ، و لا تزال هناك الكثير منها لم يسنح لنا المجال بذكرها جميعا ، و هي تعتبر من أكثر المعاني القرآنية المسيطرة على المدونة .

أما فيما يلي فسأنتقل إلى معنى آخر من معاني القرآن الكريم الواردة في " الطوق " ، و هو معنى : الموت و الحياة .

المعاني الدالة على الموت و الحياة :

ـ معنى الموت :

من المعاني القرآنية التي تناولها الأدباء الأندلسيون ، و تكررت عندهم ، و كان من بين هؤلاء الأدباء أبو محمد علي الذي استمد هو الآخر معانيه من القرآن الكريم ، و عبر بها (المعاني) عن تأثره بالقرآن من حيث اللفظ و المعنى . ويمكن أن نعرض أمثلة عن معاني الموت في مدونته " طوق الحمامة " .

---

1 سورة النجم الآية . 5 .

2 سورة الطور الآية 28

3 سورة الذاريات الآية . 58 .

يقول ابن حزم : [1]

عفا الله عني يوم أرحل ظاعنا **** عن الأهل محمولا إلى ضيق الملحد**

و أترك ما قد كنت مغتبطا به **** و ألقي الذي أنست منه بمرصد**

فوا راحتي إن كان زادي مقدما **** و يا نصبي إن كنت لم أتزود**

و في هذه الأبيات يطلب ابن حزم من الله تعالى العفو يوم الرحيل عن الأهل و الصحب و الأحباب ، و لكن أي رحيل إنه الرحيل الأبدي ؛ أي الموت . و لعل ما يشير إليه (الموت) قوله " ضيق الملحد " ، و يقصد بالملحد القبر . كما نجده يتحسر على ترك ما ألفه ، و مسراته في حياته ، و يلقى ربه العلي ليحاسبه ، فإن كان زاده للخير أكبر دخل الجنة و فرح بها ، أما إن كان زاده غير كاف فذلك هو الحزن و النصب الأكبر ، و هذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم في مثل قوله تبارك و تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[2] .

و معنى هذه الآيات أن الإنسان يوم الشدة الكبرى ، و عند قيام الساعة التي يهون عندها كل شيء فحينئذ " يتذكر الإنسان ما سعى " ؛ أي ما قدم في الدنيا من خير أو من شر ، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته ، و يغمه و يحزنه لزيادة مثقال ذرة من سيئاته . [3]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 12 .

2 سورة النازعات الآيات 34 _ 41 .

3 عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (تفسير سورة النازعات) ، ص 910 .

و في مثل قوله عز و جل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾[1] .

أي من رجحت حسناته عن سيئاته " فهو في عيشة راضية " في جنات النعيم ، و " أما من خفت موازينه " بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته ، " فأمه هاوية " ؛ أي مأواه و مسكنه النار التي من أسمائها الهاوية . [2]

و من معاني الموت الموجودة في الطوق أيضا : [3]

و إذا قمت عنك لم أمش إلا **** مشي عان يقاد نحو الفناء**

و الفناء أيضا من أسماء الموت ؛ أي أنه إذا فارق محبوبه أحس بأنه يموت .

و من معاني الموت الموجودة في الطوق أيضا " الهلاك " يقول : [4]

على أن قتلي في هواك لذاذة **** فيا عجبا من هالك متلذذ**

و هو المعنى الذي يمكن أن نجده في مثل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤ ﴾[5] .

---

1 سورة القارعة الآيات 6 _ 11 .

2 عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، (تفسير سورة القارعة) ، ص 933 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 24 .

4 المصدر نفسه ، ص 54 .

5 سورة غافر الآية 34 .

و يقول الله تعالى أيضا : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

و لعل هذه الآيات هي أوضح و أصدق دليل على ما سبق ذكره من أن ابن حزم اقتبس معنى الموت بلفظ مختلف و هو " الهلاك " من القرآن الكريم ، كما يظهر مدى تأثر هذا الشاعر بالمعاني القرآنية المختلفة .

و يمكن أن نمثل له أيضا بقول ابن حزم : [2]

و هل يتمنى المحكم الرأي عيشة **** و قد حان من دهم المنايا مزارها**

و من معاني الموت الموجودة في هذا البيت المنايا ؛ أي كيف يتمنى العاقل العيش في دنيا فانية ، و أن الموت لا محل مدركه ، و سيزوره أينما حل و ارتحل من هذه الدنيا .

و يقول أيضا : [3]

و كيف تقر النفس في دار نقلة **** قد استيقنت أن ليس فيها قرارها**

و أنى لها في الأرض خاطر فكرة **** و لم تدر بعد الموت أين محارها**

و يقول في نفس المعنى دائما : [4]

و لا تتخير فانيا دون خالد **** دليل على محض العقول اختيارها**

و كلها أبيات تدل على معنى واحد و هو أن الدنيا لابد فانية غير خالدة ، و أن الموت لا مناص مدركه ، و أن العاقل من هيأ نفسه ليوم الرحيل الأكبر ، و يعد عدته لملاقاة ربه الأعلى . و مثل هذا المعنى يمكن أن نجده في مثل قوله عز و جل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟

---

1 سورة الجاثية الآية 24 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 166 .

3 المصدر نفسه ، ص 166 .

4 المصدر نفسه ، ص 167 .

يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ ﴾[1] .

و قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

و في معنى الموت أيضا نجد قول أبو محمد علي : [3]

تنادي فلا تدري المنادي مفردا **** و قد حط عن وجه الحياة خمارها**

و نفهم معنى الموت في هذا البيت من خلال قوله : " حط عن وجه الحياة خمارها " . ؛ أي فناء هذه الحياة و إعلان عن نهايتها .

من خلال كل الأمثلة السابقة التي تم عرضها ، يمكن القول أن الشاعر و الفقيه ابن حزم الأندلسي بفهمه للقرآن الكريم و ما جاء به الإسلام من مفاهيم استطاع أن يستوعبها و يضمنها مؤلفاته عامة ، و رسالته " طوق الحمامة " خاصة ، و من ذلك فكرة الموت و الانتقال إلى الدار الآخرة . فهو متيقن كل اليقين أن كل حي لا بد له من أن يرد هذا الحوض ، و أنه لا نجاة له منه و لا مهرب .

ـ معنى الحياة :

و للحياة الدنيا عند أبي محمد علي نظرة ، يستطيع المضطلع على أدبه سواء شعره أو نثره ، أن يدرك عمق التأثر الديني المستمد من القرآن الكريم . فالحياة الهانئة الرغيدة لم

---

1 سورة النساء الآية 78 .

2 سورة الرحمن الآيتان 26 ، 27 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 168 .

تنسه الموت _ كما لاحظنا في الأبيات السابقة _ ، و أيقن أنه لا بد مفارق لهذه الحياة . لذلك حث على الإكثار من فعل الخيرات ، و الابتعاد عن الملذات ، للنجاة من عذاب الله في الآخرة . و هو الأمر الذي جعل أغلب معاني الحياة _ عنده _ متصلة بالموت .

أما عن معاني الحياة الموجودة في " الطوق " فنجد قول ابن حزم : [1]

أعارتك الدنيا مسترد معارها **** غضارة عيش سوف يذوي اخضرارها**

و نفهم معنى الحياة في هذا البيت من خلال مفردة " غضارة عيش " ، و كذا من خلال لفظة " اخضرار " . و هو ما يمكن أن يوحي لنا عن معنى السيرورة و الدوام في الحياة .

و من أمثلتها (الحياة) أيضا قوله : [2]

كغني يعيش عيش فقير **** فوق فقر و فقره قد أنبا**

و معنى الحياة في هذا البيت نفهمه من خلال كلمة " عيش " .

و يمكن أن نجد هذا المعنى أيضا في مثل قوله : [3]

فعسى التعلل بالتقائك ممسك **** لحياة قلب بالصدود معذب**

و معنى هذا البيت أن ابن حزم يتعلل ، أي يبحث عن الأسباب لرؤية محبوبه لأنها سبب في استمرار حياة قلبه الذي أعياه و أتعبه كثرة الصد ، و البيت ككل إنما يوحي لنا عن معنى الحياة . لأن الموشك على الموت إنما يتمنى شيئا واحدا و هو أن يغفر الله له و يرضى عنه ، و يدخله جناته ؛ أما ابن حزم فإنه يطلب رؤية محبوبته ، و هو ما يبين أنه لا يزال متعلق بهذه الحياة و لديه أمل فيها .

كما يمكن أن نجد هذا المعنى القرآني في قوله : [4]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 166 .

2 المصدر نفسه ، ص 108 .

3 المصدر نفسه ، ص 111 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر نفسه ، ص 112 .

أرى ريقها ماء الحياة تيقنا **** على أنها لم تبق لي في الهوى حشا**

و في قوله : [1]

غير أني منعتني من تمام العـ **** يش لكن أبحت لي التشميما**

و نجد معنى الحياة أيضا في مثل قوله : [2]

قد سلبت الفؤاد منها اختلاسا **** فأي خلق يعيش دون فؤاد**

فأغثها بالوصل تحيى شريفا **** و تقر بالثواب يوم المعاد**

و لعل من معاني الحياة الموجودة في القرآن الكريم ، و التي يمكن الاستشهاد بها على هذا التأثر ، و التفاعل القرآني في هذه الرسالة نجد قوله تبارك و تعالى : ﴿ ... وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[3] .

و قوله عز و جل : ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] .

و استمد معاني الحياة أيضا من قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[5] .

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 114 .

2 نفسه ، ص ، 119 .

3 سورة آل عمران الآية 185 .

4 سورة الأنعام الآية 32 .

5 سورة هود الآية 15 .

و يأخذها أيضا من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾[1] .

و كلها معان قرآنية استمدها ابن حزم الأندلسي من آي الذكر الحكيم ، و من معانيه و أفكاره .

و يمكن أن ننتقل فيما يأتي إلى حقل آخر من حقول المعاني القرآنية و هو : حقل المعاني الدالة على صفات المؤمنين و أخلاقهم ، و التي يمكن أن نبرز من خلاله هو الآخر أوجه التأثر المعنوي الموجود في " الطوق " بالقرآن الكريم .

حقل المعاني الدالة على صفات المؤمنين و أخلاقهم :

كثيرة هي المعاني الإنسانية المتعلقة بصفات المؤمنين و أخلاقهم ، و التي ذكرت في القرآن الكريم ، و تأثر بها أديبنا و ضمنها رسالته ، و من بين هذه الصفات ، نجد صفة :

الصبر : و قد وردت في " الطوق " بشكل ملفت ، و قد تناولها الأديب و الشاعر ابن حزم الأندلسي بمعناها القرآني ؛ بناء على ما أمر به الله تعالى في كتابه العزيز . و هي من الصفات و الأخلاق التي يجازى عليها المؤمن الجزاء الأوفى ، و يثاب المتحلي بها بجنات الفردوس نزلا .

قال الله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾[2] .

و يقول الله عز و جل : ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[3] .

---

1 سورة إبراهيم الآية 3 .

2 سورة الرعد الآية 24 .

3 سورة النحل الآية 96 .

و في مقام آخر يخاطب الله جل و علا أهل الجنة ، بأنهم وصلوا إلى هذه الدرجة العالية الرفيعة ، و إلى هذا المقام الكريم جزاء لما صبروا ، و أنها (صفة الصبر) تعتبر من الشروط و الأسباب الداعية إلى الجنة قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] .

و يقول الله تعالى أيضا : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[2] .

يقول عز و جل في نفس المعنى : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ ﴾[3] .

و يمكن أن نمثل لهذه الصفة بقول ابن حزم الأندلسي : [4]

ما قاهر للنفس غير مجيبها **** و ما الصابر المطبوع كالمتصبر**

و يقول ابن حزم أيضا : [5]

سقاني الصبر هجركم كما قد **** سقاني الحب وصلكم بسجل**

و نجد هذه الصفة أيضا في مثل قوله : [6]

فالآن أعجب للسـ **** لو كما كنت أعجب للجلد**

---

1 سورة فصلت الآية 35 .

2 سورة الزمر الآية 10 .

3 سورة المعارج الآية 5 .

4 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 122 .

5 المصدر نفسه ، ص 123 .

6 المصدر نفسه ، (ص . ن) .

و مفردة " جلد " في هذا البيت ، هي ما يدل على هذا المعنى (معنى الصبر) .

و من معانيه أيضا : [1]

و ما إن تصبرين على حبيب **** فحولك منهم عدد كثير**

و قوله : [2]

إلى أن طال الناس عذلي و أكثروا **** « يقولون لا تهلك أسى و تجلد »**

و نجد هذا المعنى أيضا في رسالته في مثل قوله : [3]

جميل الصبر مسجون **** و دمع العين مسفوح**

و هنا إشارة واضحة على أن شاعرنا لم يعد بمقدوره الصبر على فراق الأحبة أكثر " جميل الصبر مسجون " ، و لهذا أصبح دمعه لا ينقطع " و دمع العين مسفوح " .

و يقول أيضا : [4]

و إن امرؤا لم يغن حسن اصطباره **** عليك و قد فارقته لجليد**

و معنى هذا البيت أن أديبنا لا يزال قادرا على الصبر ، و على تحمل فراق الأحبة أكثر ، فما دام فيه نفس ، فإنه سيصبر إلى أن يقضي الله في أمره .

و في معنى الصبر دائما نجد قوله : [5]

ليس الحبيب مماثلا و مكافيا **** فيكون صبرك ذلة إن تصبر**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 127 .

2 المصدر نفسه ، ص 83 .

3 ابن حزم الأندلسي ، المصدر نفسه ، ص 29 .

4 المصدر نفسه ، ص 30 .

5 نفسه ، ص 56 .

و الدلالة الموجودة في هذا البيت أن من يصبر على شخص لا يكافؤه و لا يضاهيه ، فإنه سيكون ذلا و هوانا ، و ليس صبرا . و المعنى أن يكون غير مكافئ له في المشاعر ، أي لا يبادله نفس الإحساس ، و ليس المقصود منها لا يكافؤه منزلة و قدرا ، و هو ما نفهمه من قوله " حبيب " ، لأنه لو كان يقصد ذلك المعنى لاستعمل أي تعبير آخر ، و لما كان قد استعمل لفظة " حبيب " . (و الله أعلم) .

و نجد قوله أيضا : [1]

فصبرا لسطو الدهر فيهم و حكمه **** و إن كان طعم الصبر مستثقلا مرا**

و يقول ابن حزم في كتابه أيضا : [2]

سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة **** لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا**

و قوله : [3]

لي خلتان أذاقني الأسى جرعا **** و نغصا عيشتي و استهلكا جلدي**

كانت هذه صفة من صفات أهل الجنة ، وردت في القرآن الكريم بقوة ، و أمر بها الله تعالى في كتابه العزيز ، و جعلها مفتاحا من مفاتيح جنته ، و ذلك تبعا لأهمية هذه الصفة ، و عظيم قدرها ، و رفيع درجاتها .

و قد عرضت هذا المعنى القرآني ، بالاستشهاد بالسور و الآيات القرآنية ، و التدليل على تأثيرها القوي على ابن حزم من خلال عرض أمثلة من رسالته .

و سأقدم فيما يلي حقلا آخر من الحقول الدلالية الواردة في " الطوق " و هو :

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 173 .

2 نفسه ، ص 174 .

3 المصدر نفسه ، ص 129 .

حقل المعاني الدالة على العقيدة :

و من هذه المعاني العظيمة :

- **الإيمان بيوم القيامة** : و تعد من المعاني المنتشرة و بقوة عند الأدباء الأندلسيين و هو يعد مظهرا من مظاهر الإيمان بالله تعالى ، إذ لا بد للمؤمن الحق أن يؤمن بيوم القيامة ، و أن الإنسان لا بد و أن يبعث يوما ما ، و أن يقف أمام الله تعالى ليحاسبه على أعماله ، فإما أنه محسن فيدخل الجنة ، و إما مسيء فيخلد في النار .

و هذا المعنى القرآني العظيم نجده يتكرر و يتردد بشكل ملفت في مدونة ابن حزم الأندلسي ، و يورده بأسمائه و معانيه المختلفة ؛ إذ نجده مثلا بمعنى :

يوم الحشر :

يقول ابن حزم : [1]

فأصبحت فيه لا تحلين غيره **** إلى مقتضى يوم القيامة و الحشر**

و في قوله أيضا : [2]

تنادي إلى يوم شديد مفزع **** و ساعة حشر ليس يخفى اشتهارها**

و في هذا البيت يصف لنا أبو محمد علي هول هذا اليوم ، و عظمته ، و رهبه ، بوم ينادى للوقوف بين يدي الله سبحانه و تعالى ، ليحاسب عباده على ما اقترفت أيديهم من حسنات أو سيئات ، و يجزي كل واحد قدر أفعاله ، و أن هذا اليوم مشهور و ليس تخفى شهرته ، فهو يوم عظيم ، جليل ، و لا يعلم ميعاده غير الله .

و في موضع آخر يقول : [3]

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 76 .

2 المصدر نفسه ، ص 168 .

3 ابن حزم الأندلسي ، المصدر نفسه ، ص 91 .

أساعة توديع غدت ساعة الحشر **** و ليلة في ضنك أم ليلة النشر**

و في هذا البيت يشبه ابن حزم شدة و إيلام ساعة الفراق بشدة يوم القيامة و هولها ، و تعتبر لفظة " نشر " هي الأخرى من معاني يوم القيامة .

و يمكن أن نمثل لهذا التأثر المعنوي من القرآن الكريم بقوله عز و جل : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ ﴾[1] .

و منها قوله عز و جل : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾[2] .

و من أسماء يوم القيامة أيضا و الواردة في " الطوق " نجد :

يوم المعاد :

يقول ابن حزم في هذا المعنى : " **و حذرها من يوم المعاد** " . [3]

و في قوله أيضا : [4]

فأغثها بالوصل تحيى شريفا **** و تقر بالثواب يوم المعاد**

يوم الحساب :

قال أبو محمد علي : [5]

و يوم عرض الحساب يفضحه الله **** و يبدي الخفي من ريبه**

---

1 سورة الأحقاف الآية 6 .

2 سورة النساء الآية 87 .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 159 .

4 المصدر نفسه ، ص 119 .

5 نفسه ، ص 166 .

يوم البعث :

يقول ابن حزم : [1]

إذا لم أواقع حرما أتقي به **** مجيء يوم البعث و الوجه باهت**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾[2].

كانت هذه أمثلة من " الطوق " عن يوم القيامة و أسمائها و معانيها ، و كذا من القرآن الكريم ؛ غير أني أردت أن أختم هذا العنصر بآي الذكر الحكيم من سورة الجاثية بقول الله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ﴾[3] .

و كانت هذه الآيات خير ما ارتأيت أن أخلص به في هذا العنصر ، و هي شديدة الوضوح و البيان على يوم القيامة .

ـ الإيمان بالقضاء و القدر :

و هو الآخر من المعاني التي تدخل ضمن حقل العقيدة الإسلامية ، و قد اهتم به الشعراء و الأدباء ، و بما يواجه الإنسان .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 48 .

2 سورة الروم الآية 56 .

3 سورة الجاثية الآيات 32 _ 34 .

وهو موضوع واسع و متشعب المفاهيم من الناحيتين الدينية و الفلسفية ، لذا سأحاول تناوله من الناحية اللغوية ، أي اعتماد أسهل الطرق و أيسر المعاني في تفسيرها دون التوغل في دلالاته الباطنية العميقة .

مفهوم القضاء : و قد أورد الراغب الأصفهاني في كتابه " المفردات " تعريفا للقضاء بأنه : « **الفصل و القطع في الأمر (...) و القضاء من الله تعالى أخص من القدر ، و القضاء بمنزلة الكيل (...) تنبيها أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله ، فإذا قضي فلا مدفع له** » [1].

مفهوم القدر : « **من القدر ، التقدير ، قدره بالتشديد أي أعطاه القدرة (...) و تقدير الله للأشياء يكون على وجهين : إعطاء القدرة أو أن يجعلها على مقدار مخصوص و على وجه مخصوص ، حسبما اقتضت الحكمة** » [2].

إذا فالقدر هو تقدير الأمر ، و القضاء هو الفصل و القطع .

وهذا المعنى (القضاء و القدر) لم يحظ بنصيب وافر في " الطوق " ، غير أني سأعرض أمثلة عنها و الواردة في الرسالة و التي بإمكانها أن تفي بالغرض المرجو من ورائها و هو التدليل على تأثير هذا المعنى في أسلوب ابن حزم الأندلسي .

يقول ابن حزم الأندلسي : [3]

أو لم تكن كل هذا حادثة *** أتى بها سببا في حتفي القدر**

إذ لم يقتصر القضاء و القدر عند ابن حزم على موضوع معين كالرزق و الأجل و الهم و الحزن ، بل تعداه حتى إلى الحب ، و هو يوضح لنا من خلال بيته هذا بأن حبيبته إنما هي حادثة قدرها الله سبحانه و تعالى عليه لتكون سببا في حتفه .

---

1 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 449 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 435 .

3 المصدر نفسه ، ص 32 .

و في موضع آخر يبين لنا ابن حزم أن ما قدره الله عز و جل على عبده لا بد مدركه ، سواء الحزن أو السرور ؛ فهو مقدور من عنده تعالى و لا بد على المؤمن الحق أن يؤمن بقضائه و قدره .

يقول ابن حزم : [1]

كأني أرى منك التبرم ظاهرا **** مبينا إذا الأقدار حل اضطرارها**

و في هذا البيت يؤنب ابن حزم الإنسان لفزعه و حزنه إذا أصابه هم ، و لم يلق من الأيام ما يرضى ، فيصبح مهموما كسيرا ، و الحزن ظاهر على محياه لأمر قد قدره الله سبحانه و تعالى عليه و قضاه .

يقول الله تعالى : ﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣** ﴾ [2] .

و يقول أيضا : ﴿ **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠** ﴾ [3] .

و في بيت آخر يبين أبو محمد علي أن الله سبحانه و تعالى قد قدر أمر كل صغيرة و كبيرة ، و دبر ما في السموات و الأرض ، و جعل لكل شيء موعدا و أجلا .

يقول ابن حزم : [4]

و من قدر التدبير فيها بحكمة **** فصح لديها ليلها و نهارها**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 168 .

2 سورة الطلاق الآية 3 .

3 سورة الواقعة الآية 60 .

4 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 170 .

و في هذا المعنى يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ ﴾[1] .

و في موضع آخر يتحسر ابن حزم على تركه الديار ، و يبكي فرقة الأهل و الصحاب ، غير أنه مقتنع و راض بما قسم الله تعالى له ، لأنه مقدر عليه من عنده تعالى ، و لا بد أن يكون .

يقول ابن حزم : [2]

و لكن أقدارا من الله أنفذت **** تدمرنا طوعا لما حل أو قهرا**

و في مثل هذا المعنى نجد قوله تعالى : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[3] .

و يقول الله تباركت أسماؤه : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾[4] .

و يقول أيضا : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[5] .

---

1 سورة المزمل الآية 20 .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 173 .

3 سورة عبس الآية 19 .

4 سورة مريم الآية 71 .

5 سورة آل عمران الآية 47 .

و يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [1].

و بذلك نكون قد قدمنا نماذج عن هذا المعنى القرآني الجليل الذي لا تستقيم عقيدة بدونه ، و لا يصح إيمان إلا به ؛ إذ يعتبر الإيمان بقضاء الله و قدره خيرا كان أو شرا من أركان الإيمان الصادق بالله تعالى ، و هو الأمر الذي نراه واضحا جليا في هذه الأمثلة التي قدمناها من مدونة ابن حزم . فهو رجل مؤمن بالله تعالى حق إيمانه ، و مؤمن بما قد كتبه عليه ، فهو موقن كل اليقين أن ما لأصابه ما كان ليخطئه ، و أنه إن كان شرا فهو لا بد أن يزول ، و إن كان خيرا فهو نعمة . و كل من عنده تعالى ؛ لذا وجب على الإنسان أن يقتنع بهذه الحقيقة ، و يرضى بما قسمه الله تعالى عليه و كتبه .

و في ختام هذا الفصل كان من المفيد الإشارة إلى ملاحظة ، و هي أن ما قدم في هذا البحث لا يمثل حجم ظاهرة تأثر لغة و أسلوب و معاني رسالة ابن حزم بالظاهرة القرآنية ككل ، و إنما هي لمحة موجزة عن أهم الظواهر الأسلوبية التي استطاعت معرفتي أن تصل إليها ، و لو تتبعنا كل ألفاظ القرآن الكريم ، و معانيه و أسلوبه في " الطوق " لطال الحديث ، و ربما وقعنا في فخ التكرار ، و بالتالي البعث على الملل .

و هكذا فقد ظهرت جوانب في هذا الفصل عن آثار القرآن الكريم بلغته و لفظه و معناه ، و نظمه و صوره و أخيلته في الرسالة أيما ظهور ، و هو إنما يدل على مقدار تثقف هذا الأديب و الفقيه بالثقافة الدينية ، و أولها المادة القرآنية بعناصرها المختلفة ، و التي تختزنها الرسالة بين جنباتها ، و التي يعبر عنها بلغة الرموز و الإيحاءات حينا و باللغة الصريحة المباشرة أحيانا كثيرة ، نظرا لتميز أسلوب ابن حزم بأسلوبه المباشر و لغته البسيطة البعيدة عن الغموض و التعقيد .

[1] سورة البقرة الآية 210 .

الخاتمة :

بعد أن شارف هذا البحث على نهايته كان لزاما علي عرض خلاصته و تقديم جملة عن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال فصول هذا العمل ، و من ذلك ما لاحظناه من قوة تأثير العامل الديني في اللغة و الأدب العربيين عامة ، و الأدب الأندلسي خاصة فكان أن ظهرت آثاره الجلية في جوانب من هذا الأدب و في نواحيه المختلفة .

_ أن الأسلوب له من حلاوة اللفظ و طلاوة الإيقاع ، و جودة السبك و روعة النظم ما يجعله يتبوأ مكانة لم يتبوأها كلام قبله و لا بعده ، و هو (الأسلوب) أحد أهم أسباب ، و أوجه الإعجاز القرآني .

_ يعد ابن حزم الأندلسي من أهم الأدباء الذين تعاملوا مع هذا الرافد تعاملا ذكيا ، ظهر في شكل إشارات و إيحاءات في لغته و في أسلوبه ، و كشفت عن مدى تثقفه بالثقافة الدينية و القرآنية ، و تأثره بنصوصه و معانيه تأثرا قويا ، و لعل ذلك ما لاحظناه _ خاصة _ في تناصاته و اقتباساته القرآنية ؛ إذ إن الملاحظ لها يدرك مدى توسع و تشعب معارفه الدينية ، و ذلك من خلال عرضه لقصص الأنبياء و المرسلين و أخبار الأولين ، إضافة إلى اقتباساته من آيات قرآنية حينا ، و من سور كاملة من القرآن الكريم حينا آخر ، و هو ما قام بطرحه و تقديمه " التناص القرآني " من الجانب التطبيقي .

_ و قد كانت الألفاظ هي الأخرى رافدا مهما من روافد هذا الأديب اللغوية يستقي منها ما يشاء ، و ينتقي ما يحلو له من جواهرها ، و أحلاها و أجزلها ، و أقربها معنى ، و أجملها وقعا و أثرا ، الأمر الذي يعكس إعجابه الكبير و اهتمامه بلغة القرآن الكريم ، و لفظه ، و كذا حذقه و قوة خلقه الأدبية و الشعرية .

_ كما كشفت دراسة موضوع الفاصلة القرآنية عن جانب آخر من جوانب تأثير القرآن في الأدب العربي سواء أكان شعرا أم نثرا ، و التي حاول العرب تقليدها ، و الاقتباس منها ، و التي ظهرت في القوافي العربية بالنسبة للشعر ، و كذا التجنيس بالنسبة للنثر . و قد جاء تواليها (القافية الشعرية) في مدونة ابن حزم مسايرة لحروف الفواصل القرآنية ؛ إذ نجد

حرف النون هو الأكثر حضورا في الرسالة ، ثم الراء ، ثم الميم ، و بعدها السين و الألف بنسب قليلة ، و تأتي فاصلتا القاف و اللام بأقل نسبة استعمال في الرسالة .

_ أما عن الأسلوب القرآني فقد توزع بين ثلاث أساليب و هي " الخبر ، الإنشاء ، و الحوار " _ حسب البحث _ .

أما الخبر فقد تعلق به أبو محمد علي لما يحمله من دقة في التعبير ، و أما الإنشاء فنلحظ تأثر أديبنا خاصة بأسلوبي الأمر و الاستفهام ؛ فاستعان بالاستفهام القرآني من حيث الصياغة ، و استخدم الأمر في مواضيع كثيرة و خاصة في موضوع النصح و الإرشاد ، و الدعوة إلى فضائل الأخلاق . أما عن الحوار فنلحظ سيطرة هذا الأسلوب في المدونة تبعا لوروده القوي في القرآن الكريم .

_ و ظهر التأثر بالمعاني القرآنية جليا في موضوعات هذه الرسالة خاصة في " باب قبح المعصية ، و فضل التعفف ، و باب الموت " ، التي أظهرت توسع معارفه الدينية ، الأمر الذي جعل لغته تشع بالإيحاءات و الرموز الدينية المختلفة .

_ و من خلال كل ما سبق أخلص إلى حقيقة مفادها أن تأثير القرآن في الشعر و الأدب الأندلسي كان واضحا و جاء بنسب متفاوتة بين الأدباء و من بينهم : ابن حزم الأندلسي ، الذي يمكن القول أن القرآن الكريم عاش في أفكاره و مخيلته و في أدق تفاصيل حياته ، فكان ملازما له ، و كان المنبع و المصدر الذي أمده (ابن حزم) بكثير من المعاني و الصور ، و المقومات الأساسية للغته .

_ و تجدر الإشارة في نهاية هذا البحث بأن هذا العمل يبقى مجرد اجتهاد شخصي ، و هو قابل دوما للتصحيح و التعديل و الإضافة ؛ غير أنه يمكن إسداء نصيحة للمهتم بحقل الدراسات القرآنية ، و هي أن مثل هذه المواضيع حساسة للغاية ، و يجب على الباحث في هذا المجال مراعاة هذه الحساسية و التعامل معها بمنتهى الحذر و الدقة ، لأن خطأ و لو بسيط جدا قد يقلب الآية رأسا على عقب ، و يؤدي إلى تحريف المعنى و بالتالي الوقوع فيما لا يحمد عقباه . لذلك نوجه كل من يريد العمل في مثل هذه الدراسات ضرورة التأكد من معارفه و خبراته الدينية ، و عدم الاجتهاد في شرح الآيات و السور القرآنية ، أو

الأحاديث النبوية ، أو الأحكام الشرعية ؛ بل يجب دوما الاعتماد على المصادر الموثوقة ، و الأخذ برأي أهل الاختصاص ، و أصحاب الكفاءة و الخبرة .

و في الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث _ الذي أبغي من ورائه وجهه تعالى ، و لا أريد منه جاها و لا مالا _ ، و أن يكون قد استطاع هذا البحث تحديد طبيعة الأثر الأسلوبي القرآني في مدونة ابن حزم ، و كشف و لو عن جزء يسير من حجم هذا التأثر و جوانبه و أشكاله و أنواعه ، و التدليل على أهمية القرآن الكريم في حياة العربي ، و في إحكام وحدة الأمة الإسلامية و لم شملها (و الله أعلم) .

بطاقة بيبليوغرافية حول ابن حزم الأندلسي :

- **إسمه** : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي .

- **تاريخ ومكان الميلاد** : 30 رمضان سنة 384 هـ – الموافق لـ : 7 نوفمبر. 994 م . طابع العقرب ، قرطبة – الأندلس .

- **الصفة** : أديب ، فقيه ، إمام ، شاعر مفكر ، و وزير .

- **إسم والده** : بن سعيد بن يزيد الأندلسي .

- **صفة والده** : شاعر ، أديب ، وزير .

- **تاريخ و مكان الوفاة** : 456 هـ بـ : منت ليشم – غرب الأندلس – .

1 _ التعريف بالمؤلف ابن حزم الأندلسي :

أ – مولده و نشأته :

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي ، ولد بقرطبة بربض منية المغيرة سنة 384 هـ ، الموافق لـ : السابع من شهر نوفمبر عام 994 م يقول عن نفسه : « **ولدت بعد سلام الإمام من صلاة الصبح و قبل طلوع الشمس ، آخر يوم من شهر رمضان . يوم الأربعاء 384 هـ . 7 نوفمبر 994 م . بطابع العقرب** »[1] ، و قد توفي سنة 456 هـ بقرية منت ليشم غرب الأندلس .

و قد نشأ ابن حزم في بيت عز و مال و شرف و جاه بقصر أبيه الوزير بن سعيد ، و قد اختلف الباحثون و المؤرخون في نسبه ؛ إذ إن البعض يذهب إلى القول بأنه ينحدر من أصول إسبانية و أن جده يزيد مولى بن أبي سفيان كان نصرانيا ثم اعتنق الإسلام .

أما تلميذه " الحميدي " فيقول إن أصله فارسي وقد اجتمعت جل المصادر على هذا الرأي ، وقد تحدث ابن حزم عن أصله الفارسي في إحدى قصائده يقول فيها : [2]

سما بي ساسان و دار بعدهم **** قريش العلا أعياصها و العنابس**

فما أخرت حرب مراتب سؤددي **** و لا قعدت بي عن ذرى المجد فارس**

ولد أبوه ابن سعيد بقرية منت ليشم ثم هاجر إلى قرطبة ليتعلم و يتثقف ، وقد نال منها (الثقافة) ما أدهش معاصريه و جمع من سعة العلم و البلاغة ما لم ينله غيره أصبح وزيرا للمنصور ابن أبي عامر و ابنه المظفر و قد عاش إلى نهاية الدولة العامرية و بداية

---

[1] عبد الحليم عويس ، ابن حزم و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ط2 ، الزهراء للإعلام ، القاهرة ، مصر ، 1409 هـ _ 1988 م ، ص 58 .

[2] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي _ عصر سيادة قرطبة _ ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص 304 .

الفتنة توفي يوم السبت قبل ليلتين من ذي القعدة عام 402 هـ ، وقد تأثر أديبنا بشخصية والده الذي توفي و هو في الثامنة عشرة من عمره .

و قد قضى ابن حزم فترة طفولته و صباه حتى بلغ الشباب بين النساء و الجواري في القصر فهن اللواتي علمنه القرآن ورويه الأشعار و دربنه في الخط فلم يجالس الرجال إلا و هو في حد الشباب يقول عن نفسه : « **ولقد شاهدت النساء و علمت من أسرارهن ما لم يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن و نشأت بين أيديهن و لم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا و أنا في حد الشباب و حين تفيل وجهي و هن علمنني القرآن و رويننني كثيرا من الأشعر و دربنني في الخط** » [(1)].

و عندما بلغ الثانية عشر من عمره صحبه والده إلى مجلس المظفر ابن أبي عامر و كان يوم الفطر من عام 396 هـ و في هذه الجلسة سمع قصيدة أبي العلاء صاعد اللغوي يمدح فيها المظفر بقوله : [(2)]

إليك حدوث ناجية الركاب **** محملة أماني كالهضاب**

و قد أبدى استحسانه بها و كانت هذه بداية رحلة علي مع الثقافة و التعلم و التي لم تتوقف إلى آخر يوم من حياته

و قد تدرج ابن حزم بين المذهب المالكي ثم الشافعي و انتهى به المطاف في المذهب الظاهري * .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . صلاح الدين القاسمي ، د ط ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، 1986 ، ص 121 .

[2] عبد الحليم عويس ، ابن حزم و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ص 62 .

* المذهب الظاهري : مذهب يعتمد الإجماع و السنة ، و يرفض الرأي و القياس و الاستحسان .

* العاتكة : التي تكثر من الطيب حتى تحمر بشرتها تجمع على عواتك .

* المذهب الظاهري : مذهب يعتمد الإجماع و السنة ، و يرفض الرأي و القياس و الاستحسان .

و قد مر أديبنا علي ابن حزم بنكبات و ضربات متتالية كان لها عميق الأثر في نفسيته و حياته

_ الأولى : فقدان أخيه أبي بكر إثر إصابته بمرض الطاعون و الذي كان متزوجا ببنت من عائلة " قند " صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور ابن أبي عامر .

يقول في الطوق : « **وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله وكان متزوجا بعاتكة* بنت " قند "* صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد ابن عامر** » . [1]

_ و الثانية : فقدان والده بعد وفاة أخيه بمدة قصيرة **سنة 402 هـ** .

_ و الثالثة : وفاة زوجته " **نعم** " سنة **403 هـ** .

و توالت الضربات و النكبات على ابن حزم حيث أجلي و عائلته عن منازلهم إثر دخول البربر قرطبة و استحواذهم عليها سنة 404 هـ فخرج إلى المرية أين أعتقل هو و صاحبه محمد ابن إسحاق بضعة أشهر ثم قصد بلنسيا و أقام بها مدة عامين ثم عاد بعدها إلى قرطبة عام 409 هـ يقول ابن حزم : « **ثم ضرب الدهر ضربانه * و أجلينا عن منازلنا و تغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة أول محرم سنة 404 هـ ... ثم دخلت قرطبة في شوال 409 هـ** » . [2] أين أصبح مستشارا للمرتضى ثم تولى الوزارة في عهد الخليفة عبد الرحمان ابن هشام ابن عبد الجبار ابن عبد الرحمان الناصر سنة 414 هـ غير أن وزارته لم تدم غير سبعة أسابيع ثم عاد إلى الوزارة في عهد هشام ابن المعتمد بالله ابن عبد الرحمان الناصر الذي حكم ما بين 418 و 424 هـ .

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 130 .

* القند و القندة و القنديد : عسل قصب السكر إذا جمد .

* ضرب في الأرض ضربا و ضربانا ، خرج تاجرا أو غازيا ، أو أسرع أو ذهب .

2 ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 126 .

« و لم يعرف أن ابن حزم تقلد منصبا آخر لا قضائيا و لا علميا و لا وزاريا فقد طلق المناصب الدنيوية »[1] .

فبعد خروج ابن حزم من الوزارة تفرغ للتأليف و النظم و التعلم و ابتعد عن الأمور السياسية

خلف ابن حزم ثلاثة أولاد أبو رافع ، أبو أسامة يعقوب ، أبو سليمان المصعب . و كانوا أدباء و علماء ذكرهم ابن الآبار و قد أذاعوا علم والدهم وأعادوا إحياء مؤلفاته .

ب – <u>علمه و مشايخه و تلاميذه</u> :

بعد انهيار الدولة الأموية انصرف ابن حزم الأندلسي إلى العلم انصرافا تاما

فأقبل على دراسة العلوم الشائعة في عصره من فلك و فلسفة و نحو و لغة و منطق

و قد بدأ دراساته الفكرية بقراءة كتب الشافعية و تلقى علوم الظاهرية على يد أستاذه أبي الخيار مسعود بن سليمان ابن مفلت (ت. 426 هـ) كما اضطلع على كتب أرسطو في المنطق و كتب أفلاطون في الفلسفة .

فمن خلال ما **رواه ابن حزم** عن نفسه فقد نشأ في بيت عز و جاه فلم يكن طلبه للعلم بحثا عن المجد أو سعيا وراء الشهرة و إنما كان وليد رغبة نزيهة في المعرفة و إيمان عميق بقيمة العلم [2].

و قد وصفه " ابن بسام " بأنه : **« البحر لا تكف غواربه و لا يروى شاربه »** . [3]

---

[1] عبد الحليم عويس ، ابن حزم و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ص 70 .

[2] زكريا إبراهيم ، ابن حزم الأندلسي _ المفكر الظاهري الموسوعي _ ، دط ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، مصر ، 1966 ص 31 .

[3] أحمد بن ناصر الحمد ، ابن حزم و موقفه من الإلهيات _ عرض و نقد _ ط1 ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1406 هـ ص 61 .

أما **أبو مروان ابن حيان** فيقول عنه : « **كان أبو محمد حامل فنون من حديث و فقه و جدل و نسب و ما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق و الفلسفة** » . [1]

و هو ما يفسر سعة علمه و ثقافته في جميع المجالات و الفنون و المعارف .

يقول عنه تلميذه " الحميدي " : « **كان حافظا عالما بعلوم الحديث و فقهه و مستنبطا للأحكام من الكتاب و السنة متفننا في علوم جمة ...وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له من الذكاء و سرعة الحفظ و كرم النفس و التدين** » . [2]

فقد كان " ابن حزم " نابغة عصره ظاهرة فريدة من نوعها حيث جمع كل أنواع الفنون و المعارف و الثقافات .

و هو ما أورده " حنا الفاخوري " في قوله : « **كان ابن حزم من أوسع أهل زمانه علما و اطلاعا و من أشدهم تدينا و عزة نفس و قد شملت ثقافته جميع أنواع المعرفة في عصره** " [3]

و هو نفس القول الذي ذهب إليه الدكتور إحسان عباس حيث يقول : « **كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام و أوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان و البلاغة و الشعر و السير و الأخبار**» . [4]

و ينقل لنا الدكتور " زكريا إبراهيم " وصف المستشرق الإسباني " بالنثيا palancia " قيمة ابن حزم الفكرية و الأدبية قائلا : « **ففي قرطبة ظهر ابن حزم صاحب**

---

1 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . عفيف نايف حاطوم ، ص 7 .

2 أحمد بن ناصر الحمد ، ابن حزم و موقفه من الإلهيات ، ص 60 .

3 حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه _ الأدب في الأندلس و المغرب _ ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، المجلد 3 ، 1411 هـ _ 1991 م ، ص 94 .

4 إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص 315 .

التواليف الكثيرة في كل فن ، وهو من أفذاذ الأعلام المعدودين في تاريخ الأندلس » . [1]

فقد جعل منه عالما فذا لم تشهد الأندلس له مثيل على مر تاريخها الفكري و الأدبي الطويل و الحافل .

و هو ما ذهب إليه " أبي علي الحسين بن علي الفاسي " ؛ إذ يقول : « **ما رأيت مثله جملة علما و عملا ، و دينا و ورعا** » . [2]

فمن خلال آراء البحثين فيه – **ابن حزم –** نعلم أنه كان عالما جليلا حوى من العلوم و المعارف – في مدة وجيزة – مالم يحوه عالم في عمر طويل من البحث و التعلم .

و قد نال ثقافته هذه – كما سبق و أن ذكرنا – على يد الجواري و النساء في القصر أولا ، ومن العلماء و المشايخ الذين تدرب على أيديهم ، والذين يمكن أن نورد أهمهم فيما يأتي :

_ أبو الخيار محمد بن المسعود بن سليمان بن المفلت : فقيه عالم ، زاهد . سمع منه بعض الأخبار و الفوائد اللغوية ، كما تلقى على يديه فنون المذهب الظاهري .

_ أبو القاسم عبد الرحمان بن أبي يزيد المصري : أستاذه في الجدل و الكلام .

_ أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجسور الأموي : روى التاريخ للطبري و هو أول شيخ سمع منه بن حزم سنة **400 هـ** بقرطبة .

_ أحمد بن محمد بن عبد الوارث : مؤدبه في النحو و اللغة ، و علوم اللسان .

_ أبو محمد عبد الله بن الربيع بن بنوش التميمي : روى عنه كتاب حديث أبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي .

كما روى الحديث عن علماء كبار نذكر منهم :

---

[1] زكريا إبراهيم ، ابن حزم الأندلسي _ المفكر الظاهري الموسوعي _ ، ص 9 .

[2] المصدر نفسه ، ص 34 .

_ محمد بن سعيد بن نبات .

_ محمد بن سعيد بن جرج الفقيه .

_ عبد الرحمان بن سلمة الكتاني .

_ أحمد بن قاسم البياني .

فقد تشبعت ثقافة أبي محمد علي بن حزم بين الفقه و الحديث ، وله اضطلاع واسع في اللغة و النحو و الأدب و التاريخ ، و درس الفلك و المنطق و الفلسفة . [1]

كما كان للأديب و الفقيه أبي محمد علي خلال رحلته العلمية و الأدبية الطويلة الكثير من التلاميذ يمكن أن نذكر منهم:

_ عبد الله الأزدي الحميدي و ابنه الفضل أبو رافع : وهما أكثر الرواة عنه .

_ الإمام الوزير أبو محمد بن عربي : وهو أكثر من قرأ عنه مصنفاته .

_ علي بن سعيد العبدري .

_ محمد بن الوليد الفهري .

_ عبد الباقي بن محمد بن سعيد الأنصاري .

_ أبو الحسن شريح بن محمد المقري . وهو آخر من روى عنه

كان هؤلاء أهم من استطاعت معرفتي التوصل إليهم ، غير أنه يمكن الجزم أنه يصعب حقا جمع أسماء شيوخ و تلاميذ هذا الأديب و العالم و الفقيه الكبير ، الذي فاقت شهرته كل الحدود خلال عمره الذي قضاه في التعلم و التعليم و التثقف و التثقيف .

يقول : [2]

[1] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص 314 .

[2] أحمد بن ناصر الحمد ، ابن حزم و موقفه من الإلهيات ، ص 68 .

مناي من الدنيا علوم أبثها ***** و أنشرها في كل باد و حاضر**

دعاء إلى القرآن و السنة التي ***** تناسى رجال ذكرها في المحاضر**

و هو الأمر الذي يعكس وبقوة تثقف أديبنا أبو محمد علي بالثقافة الدينية ، و مدى حبه و تعلقه به ، و سأقدم فيما يأتي من هذا العنصر لمحة عن أهم مؤلفات و مخلفات هذا الأديب ، و التي شملت جميع العلوم و المعارف .

ج – مؤلفاته :

يجمع الباحثون و المؤرخون على أن " أبي محمد علي " من أكثر أهل الإسلام والأندلس تصنيفا ؛ حيث بلغت مؤلفاته في اللغة و الأدب و الفقه و الحديث و التاريخ و الجدال نحو أربعمائة مجلد تشتمل على أكثر من ثمانين ألف ورقة [18] .

غير أن معظمها فقد إثر حرق مدينة قرطبة ،فلم يصلنا من مؤلفاته إلا النزر القليل .

ولعل المضطلع على مؤلفات ابن حزم يدرك مقدرته العقلية في الفهم و الاستنباط و التحليل ، وثقافته الموسوعية التي شملت جميع الفنون و المعارف .

و سأبين – بإذن الله فيما يأتي ما توصلت إليه معرفتي من مؤلفات هذا الفقيه ، إليكم بيانها :

- إبطال القياس و الرأي و الاستحسان و التقليد .
- الآثار التي ظاهرها التناقض و نفي التعارض عنها .
- الإجماع و مسائله على أبواب الفقه .
- الإحكام لأصول الأحكام .
- اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة .
- اختلاف الفقهاء الخمسة : مالك ، أبي حنيفة ، الشافعي ، أحمد ، و داوود .
- الأخلاق و السير في مداواة النفوس .
- أخلاق النفس .
- أسماء الخلفاء المهديين .

---

[18] دانا عبد اللطيف سليم حمودة ، شعرية النثر طوق الحمامة _ أنموذجا _ ، إشراف : محمد خليل الفلايلة ، رسالة معدة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة ماجيستير في اللغة و الأدب العربي ، جامعة الشرق الأوسط ، 2011 _ 2012 م . ص 27 .

- أسواق العرب .
- الأصول و الفروع .
- الإظهار لما شنع به على الظاهرية .
- الاعتقاد .
- الإمامة و السياسة .
- الإملاء في قواعد الفقه .
- أمهات الخلفاء .
- الإنصاف .
- أن القرآن ليس من بلاغة الناس .
- الإيصال إلى فهم كتاب الخيال .
- بيان الفصاحة و البلاغة .
- بيان عن حقائق الإيمان .
- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر .
- تسمية شيوخ مالك .
- التصفح في الفقه .
- التقريب لحد المنطق .
- الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد .
- جمهرة أنساب العرب .
- جوامع السيرة .

- حجة الوداع .
- حد الطب.
- الحدود .
- ديوان شعره .
- السياسة .
- السيرة النبوية .
- شرح أحاديث الموطأ و الكلام على مسائله .
- شرح فصول بقراط .
- شفاء الضد بالضد .
- شيء من العروض .
- الضاد و الظاء .
- الطب النبوي .
- كتاب الفرائض .
- الفصل في الملل و الأهواء و النحل .
- نكت الإسلام .
- نقض العلم الإلهي للرازي .
- نقط العروس .
- كشف الالتباس بين أصحاب الظاهر و أصحاب القياس.
- الصادح و الرادح .

- المجلى في الفقه .
- مراتب العلوم و كيفية طلبها و تعلق بعضها ببعض .
- الإيصال إلى فهم كتاب الخيال .
- في أسماء الله تعالى .
- فهرست شيوخ ابن حزم .
- الفضائح .
- الرد على ابن الأخليلي في شعر المتنبي .
- رسالة في الرعد و الرعيد .
- طوق الحمامة – في الألفة و الألاف – و هو موضوع الدراسة .

أثر المذهب الظاهري في تشكيل أسلوب ابن حزم الأندلسي :

يطلق الفقهاء و الباحثون على هذا المذهب " المذهب الخامس " ، بعد المالكي و الشافعي و الحنبلي ، غير أنه و قبل التطرق إلى تأثير هذا المذهب في تكوين أسلوب ابن حزم ، وجب علينا أولا التعريف به ، و ذكر عوالمه و أهم أعلامه .

و هو – كما أجمع جمهور الباحثين – : « **مذهب فقهي و قيل منهج فكري و فقهي ، نشأ في بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري ، إمامه داوود بن علي الظاهري ، ثم تزعمهم و أظهر شأنهم و أمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي و تعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس** » . [1]

و هو كما يعرفه عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : « **المذهب الظاهري ليس مذهبا لغويا و لكنه مذهب نصي شرعي بمقتضى فكري لغوي ، و معنى أنه فكري أنه يفصل المعرفة الشرعية و المعرفة البشرية** » . [2]

و هو يقوم في الأساس على مبدأ القرآن و السنة و الإجماع ، و ترك ما عدا ذلك من قياس و استحسان و سد الذرائع ، و التي تعتبر من الأمور الظنية عندهم .

« **فالظاهرية تسعى لتقرير مراد الله من العباد في اتباع البراهين و هي الأدلة الثابتة من كتاب الله و السنة و إجماع الصحابة ...**» . [3]

و يورد الدكتور عبد الحليم عويس معالم و أسس لهذا المذهب ، و التي حصرها في النقاط الآتية :

_ الالتزام بالنص قرآنا و سنة ثابتة من حدود المعنى الظاهر بحكم دلالة اللغة الواضحة .

---

1 الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، الظاهرية ، 13 ديسمبر 2013 .
. http : // ar . wikipedia . org / w / index . php ? title & . = action = history

2 حاتم الشرباتي ، الظاهرية : المذهب الظاهري ، منتدى الزاهد ، 20 / 04 / 2012 ص ، 1 .
. http : // www . sharabatlorg / vb / showthread . php ? t = 27

3 المرجع نفسه ، ص 1 .

_ الاعتراف بإجماع الصحابة و من يجيء بعدهم كمصدر للتشريع ، و رفض القياس و الاستحسان .

_ إيراد حجج الخصوم و اعتبار التجني على الخصوم و التقول عليهم بما لم يقولوا جريمة في البحث الديني .

_ المساواة بين الصحابة .

_ النظر إلى أئمة المذاهب نظرة متساوية لأنه لا معنى للتعصب لمالك دون الشافعي .

_ الاهتمام بالمصادر الكثيرة . [1]

و لعل من أهم أعلام الظاهرية نذكر : داوود بن علي* ، سعيد الأفغاني ، الحافظ بن طاهر القيسراني* ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري* ، و ابن حزم الأندلسي . هذا الأخير الذي يعد من أهم أعلام هذه المدرسة ، و الذي اختارها نتيجة لظروف تاريخية و سياسية و التي كانت سائدة أيام الطوائف .

« **فكانت ظاهرية ابن حزم هي رد فعل لهذه الوصولية التي سادت عصر الطوائف** ».[2]

فقد حاول ابن حزم من خلال تبنيه لهذا المذهب إصلاح ما فشل في إصلاحه عن طريق السياسة عندما كان وزيرا .

و تتمحور نظرة الظاهرية للنص الأدبي على قطبين أساسيين هما : القطب الفني و القطب الجمالي . « ... **غير أن تجليها التام هو من فعل الإدراك ، و إذا كان كذلك فإن للعمل الأدبي قطبين يمكن أن ندعوهما القطب الفني artistic و القطب الجمالي esthetic** ،

---

1 عبد الحليم عويس ، ابن حزم و جهوده في البحث التاريخي و الحضاري ، ص 92 ، 93 .

* **داوود بن علي** : ولد سنة 200 هـ ، من تلاميذ الشافعي ، و هو أول من أظهر القول بهذا المذهب .

* **الحافظ بن طاهر القيسراني** : إمام ، نحوي ، مفكر ، و هو مفسر أبو حيان الغرناطي ، و صاحب تفسير البحر المحيط .

* **عبد الرحمن بن عقيل الظاهري** : علامة ، لغوي ، و شيخ موسوعي ، يعمل حاليا مستشارا في المملكة العربية السعودية ، و رئيس تحرير مجلة الذرعية .

2 عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 88 .

و يشير القطب الفني إلى النص الذي أبدعه المؤلف ، و يشير القطب الجمالي إلى الإدراك الذي ينجزه القارئ » . [1]

و هو يعتمد – حسب هذا النص – في إنتاجه و إبداعه للعمل الأدبي على اللغة و الأسلوب و البيان ، و الصور و المحسنات ، و غيرها من الأدوات الفنية و الجمالية ، و التي يضعها المؤلف في نصه ، و ما يخلفه ذلك النص من أثر في نفس القارئ و ما يثير فيه من انفعالات . و هو بذلك يرتكز على ثلاث عناصر رئيسة و هي المبدع ، النص ، و القارئ أو المتلقي .

و على هذا الأساس يمكن أن نقسم أسلوب ابن حزم إلى نوعين :

_ أسلوب علمي : يعتمد الإطناب وسيلة من وسائل تعبيره ، إضافة إلى قوة العبارة و شدتها و عنفها ، و كذا الأسلوب المستقيم ، و اللغة الواضحة السهلة .

_ أسلوب أدبي : و هو يتميز بالسهولة و الرصانة و الاسترسال المطلق ، و ألفاظ فصيحة ، و الصور البيانية التي تشع بالخيال ، و كذا الإطناب و الإسهاب في الشرح و التفسير و يساعده في ذلك أسلوب التوكيد و التكرار يقول محمد أبو زهرة : **« و إنه لهذا الإطناب إثبات للمعاني التي يقصد إليها في قلب القارئ ، و إنه ليعتمد على ذلك التكرار في تثبيتها و توثيقها » .** [2]

و بذلك يكون المذهب الظاهري قد أسس لنوع جديد من الفهم و التفسير للنص الأدبي ، و الذي يقوم في مجمله على أساس لغوي و إظهار الدلالات ، سواء أكانت تلك الدلالة واضحة جلية ، أو تستخلص و تستنبط بعد تعمق و تدبر في المعنى .

---

1 جين ب تومبكنز ، نقد استجابة القارئ – من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية – ترجمة : حسن ناظم ، علي حاكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، البصرة العراق ، 1999 ، ص 113 .

2 محمد أبو زهرة ، ابن حزم : حياته ، عصره ، آراؤه و فقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1954 ، ص 193 .

و هو الأمر الذي نجده ينعكس بشكل واضح على لغة ابن حزم و أسلوبه و الذي نجده يمتاز باللغة الصريحة في كثير من الأحيان ، كما نجده يستخدم في أحايين أخرى لغة صعبة عنيفة ، إضافة إلى مباشرتها و خلوها من الغموض و التعقيد في معظم كتاباته .

بطاقة بيبليوغرافية حول مدونة " طوق الحمامة " :

- **اسم المدونة :** طوق الحمامة في الألفة و الألاف .
- **اسم المؤلف :** أبو محمد علي بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي .
- **جمع و تحقيق :** عفيف نايف حاطوم .
- **النوع :** ورقي ، غلاف كرتوني ، حجم 22 * 15 .
- **عدد الصفحات :** 192 صفحة .
- **الطبعة الأولى .**
- **اللغة :** عربي .
- **سنة النشر :** 1424 هـ - 2003 م .
- **الناشر :** دار صادر .
- **المنطقة :** بيروت – لبنان .

2 – التعريف بمدونة " طوق الحمامة " لابن حزم الأندلسي :

أ – التعريف بالكتاب :

يعد كتاب طوق الحمامة أدق ما كتب في موضوع الحب و مظاهره و أحواله ، وهو يحتوي على مجموعة من أخبار المحبين و أوضاعهم ، وكل ذلك في تفصيل ممتع و مبتكر.

وقد حاول ابن حزم من خلال هذا الكتاب وصف الحب و دراسة أطواره و تحليل مظاهره .

« و أحسن أثر في تراثنا الأدبي ، يثبت للناس أن في أدبنا العربي من أوتي ملكة التحليل النفسي ، و من استطاع أن يفهم الحب قبل عشرة قرون ، كما يفهمه بقية الأدباء اليوم »[1].

فمن خلال هذا الكتاب نلاحظ أن أبا محمد استغل كتابه هذا ليعرض فيه مواقف متنوعة ، ورسم صور واقعية من حياته الشخصية ، و حياة الناس المحيطين و المقربين منه حول موضوع الحب .

فقد تضمن تجاربه الذاتية و تجارب من حوله ، فكان بحق – و بشهادة الباحثين – أجمل ما سجلته و حفظته كتب التراجم في هذا الباب ، كما يحتوي على نظرة خاصة للحب أشبه ما تكون بالفلسفة الأفلاطونية .[2]

قال الدكتور" زكي مبارك " : « **كان من المستظرف حقا أن يكشف الباحثون أنه كان في ذلك العصر كاتب عربي يتناول موضوع الحب و العشق و الهيام في تفصيل شائق جذاب ، و هو آية الآيات في فهم أسرار الأهواء و الشهوات و القلوب ، وذلك كله**

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . محمد ياسين عرفة ، دط ، مكتبة عرفة ، دمشق ، سوريا ، 1349 هـ _ مقدمة الطبعة _ ص د .

[2] عبد الحليم عويس ، ابن حزم الأندلسي و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ص 341 .

يقع من رجل كان إماما من أئمة الدين ، و مثالا يحتذى به في أدب النفس ، و كرم الطبع ، و متانة الخلق » . [1]

كما أثنى الأستاذ " بيتروف – pitrove * " على هذا الكتاب فيقول : « **لم يكن كتاب ابن حزم الموسوم بطوق الحمامة معروفا قبل أن ينشر دوزي مجموعته الآثار ، و يخصص له بضع صفحات من كتابه تاريخ الإسلام في إسبانيا ، يترجم فيها بعضا من حوادث ابن حزم العاطفية ، و ما كان من حبه العذري** » . [2]

و كل ذلك في أسلوب سلس ، عذب ، بسيط ، جمع بين الخصائص الشعرية و النثرية بإبداع شديد و ألفاظ منتقاة انتقاء بديعا ، و جرس موسيقي جذاب و أسلوب شيق جمع بين الجزالة و البساطة في آن واحد .

و من أمثلة شعره نورد قوله : [3]

لئن سترتك بطون اللحود **** فوجدي بعدك لا يستتر**

قصدت ديارك قصد المشوق **** و للدهر فينا كرور و مر**

فألفيتها منك قفر إخلاء **** فأسكبت عيني عليك العبر**

أما عن نثره فيمكن أن نمثل له بقول ابن حزم : « **و قد علمنا أن أن كل من له أول فلا بد له من آخر ، حاشا نعيم الله عز و جل وعد بالجنة لأوليائه ، و عذابه بالنار لأعدائه ، وأما أعراض الدنيا فنافذة فانية ، و زائلة مضمحلة** »[4] .

---

1 زكي مبارك النثر الفني ، ج 2 ، ص 166 ، نقلا عن : حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ص 96 .

* **بيتروف** : أول من حقق كتاب طوق الحمامة ، بمقدمة طويلة ملأت 44 صفحة .

2 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت محمد ياسين عرفة ، _ المقدمة _ ص د .

3 ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . عفيف نايف حاطوم ، ص 133 .

4 المصدر نفسه ص 120 .

و عنه (نثره) تقول دانا عبد اللطيف حمودة في مذكرتها الموسومة بـ : شعرية النثر طوق الحمامة أنموذجا :

« **إن نثره لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية الجرس الموسيق ي و التلقائية و السهولة** » [1] .

و يقول عنه الدكتور" إحسان عباس " كذلك : « **يكاد يجمع النقاد على أن نثر ابن حزم هو آيته الأدبية في الروعة و أنه كان ذا نظر ثاقب في نقد الأساليب و تمييز المذاهب النثرية** » . [2]

و قد قسم ابن حزم كتابه هذا إلى ثلاثين بابا على النحو الآتي :

_ عشرة أبواب في أصول الحب :

وهي باب الكلام في ماهية الحب ، باب علامات الحب ، باب من أحب في النوم ، باب من أحب بالوصف ، باب من لا تصح محبته إلا مع المطاولة ، باب التعريض بالقول ، باب الإشارة بالعين ، باب المراسلة ، و أخيرا باب السفير .

_ اثنا عشر بابا في أعراض الحب و صفاته المحمودة و المذمومة :

وهي على النحو الآتي : باب الصديق المساعد باب كتمان السر ، باب الإذاعة ، باب الطاعة ، باب المخالفة ، باب القنوع باب الوفاء ، باب الغدر ، باب الضنى ، باب الموت

_ ستة أبواب في الآفات الداخلة على الحب :

وهي كما يلي : باب العدل ، باب الرقيب ، باب الواشي ، باب الهجر، باب البين ، ثم باب السلو .

_ ثم بابان ختم بهما الرسالة :

---

[1] دانا عبد اللطيف سليم حمودة ، شعرية النثر طوق الحمامة _ أنموذجا _ ، ص 31 .

[2] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص 72 .

و هما باب في قبح المعصية ، و باب في فضل التعفف .

وقد نال الكتاب شهرة واسعة شملت جميع الأقطار و الأمصار سواء العربية أو غير العربية ، و حظي بقدر كبير من الاهتمام من طرف الباحثين ؛ فترجم إلى العديد من اللغات العالمية ، كانت أولى هذه الترجمات سنة 1914 من طرف المستشرق **بيتروف – pitrove** .

ثم توالت الترجمات بعد ذلك ، فكانت ترجمته إلى اللغة الانجليزية ، ثم الروسية ، و الاسبانية ، ثم جاءت الترجمة الفرنسية في الجزائر سنة 1949 . و طبع النص في نسخته العربية الحديثة بالقاهرة سنة 1950 م » . [1]

[1] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص 72 .

ب – القيمة الفنية و الأدبية لرسالة " طوق الحمامة " :

لهذا الكتاب أثر كبير في الأدب العربي قديمه و حديثه ، وذلك لما فيه من خصائص ميزته عن باقي المؤلفات والتي جعلت منه أهم و أروع الكتب التي أثرت خزينة المكتبة العربية ؛ أما عن قيمته الفنية و الأدبية فيمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

أولا – موضوعه :

و يعتبر فريدا من نوعه في أدبنا العربي القديم ، و الذي كان مبعثه أمرين رئيسيين هما :

– **وفاة زوجته** " **نعم** " : الذي أحبها حبا شديدا و تعلق بها أيما تعلق ، فموتها ترك في قلبه حسرة و صدمة ، ولعله ألف هذا الكتاب تخليدا لذكراها .

– **و الثاني** : نزوله عند رغبة صديق مقرب بعث له برسالة يطلب منه فيها أن يؤلف كتابا في الحب و أسراره و أغراضه .

و تكمن أهمية موضوع هذا الكتاب كونه يكشف عن خبايا نفسية و اجتماعية ، و التي كانت تعتبر في ذلك الوقت من المحظورات ، و يصعب التعرض إليها ، غير أن أديبنا ابن حزم تعرض إليها بكل جرأة و شجاعة ؛ حيث سلط فيه الضوء على المرأة و أسرارها و طبيعة حياتها و تعاملاتها ؛ ولعل ذلك راجع إلى كثرة مخالطته للنساء و التكشف عن أسرارهن منذ الصغر ، حيث استطاع بكتابه هذا أن ينح منحى جديدا بالأدب العربي .

ثانيا – لغته و أسلوبه :

حيث نلاحظ محافظة ابن حزم على قواعد اللغة العربية متمعنا في أحكامها ، و كذا استعماله أسلوب خاص جمع فيه بين الشعر و النثر في موضع واحد ، و هو ما يصعب أن يجتمع عند أديب ، كما أنه يملك من جودة النظم و حسن التآلف و الانسجام ، و الموسيقى ما يزيد من رونقه و حسنه ، ويضفي للكتاب قيمة فنية أكبر . وهو ما دفع " حنا الفاخوري " للقول : « **الكتاب طوق الحمامة موضوع يمتاز بالطرافة ، و أسلوب يمتاز بالسلاسة**

و الطبيعة و السهولة ، ويبتعد كل الابتعاد عن الفوضى و التعقيد و التصنع ؛ أضف إلى ذلك أن صاحبه استطاع أن يحكم بناء أفكاره ومواد كتابه ...». [1]

ثالثا – تأديب الفقه :

فقد حاول ابن حزم من خلال كتابه هذا تأديب الفقه ، و تعتبر أهم ميزة تميز هذا الكتاب و تزيد من قيمته الفنية و الفكرية ، و نقصد بتأديب الأدب : تقريب الفقه و الأحكام الدينية و القرآنية إلى أذهان الناس و أفهامهم من خلال الأدب ، و بموضوع ملفت هو موضوع الحب ، كل ذلك من خلال اقتباس آيات من الذكر الحكيم و أحاديث نبوية شريفة ، و إيراد قصص بعض من الأنبياء ، و كذا التفصيل في بعض الأحكام القرآنية الواردة في الفقه الإسلامي ، و كل ذلك في أسلوب سهل و ألفاظ و تعابير فصيحة ، لا تكلف فيها و لا غموض حتى يستطيع العام و الخاص فهمها و تذوقها و التعرف إلى ما فيها دون عناء أو جهد و هي خاصية مميزة لم تعرف كتب الأدب مثلها .و هو ما يجعل منه تحفة أدبية خالصة .

كانت هذه أهم القيم و الخصائص التي استطعت استخلاصها من خلال قراءتي المتمعنة للطوق ؛ إلا أنه يمكن القول أن مثل هذا الكتاب يصعب حقا التعرف على جميع خصائصه و ميزاته ، فهو بحر كامل من القيم و كذلك مؤلفه فهو يعد موسوعة بشرية ضخمة.

[1] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص 72 .

فهرس الموضوعات :

الشكر و العرفان : .....

مقدمة : ..... أ

مدخل :..... **05**

1- أثر القرآن الكريم في اللغة و الأدب العربي 06

2- أثر القرآن الكريم في الأدب الأندلسي 08

الفصل الأول : ماهية الأسلوب القرآني و خصائصه **14**

1- تعريف الأسلوب و أنواعه 16

2- خصائص الأسلوب القرآني 27

3- الإعجاز البياني في القرآن الكريم 34

4- أمثلة عن الأساليب القرآنية 46

5 _ الفرق بين الأسلوب القرآني و الأساليب العربية القديمة 72

الفصل الثاني : الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة **85**

المبحث الأول : في البنية الشكلية : **86**

1 - الاقتباس القرآني 87

2 - الألفاظ القرآنية 102

3 - الفاصلة القرآنية 119

المبحث الثاني : في البنية المعنوية : **135**

1 _ الأسلوب القرآني 136

2 – المعاني القرآنية 156

الخاتمة : **181**

الملحق:..... **185**

أولا : التعريف بالمؤلف : " ابن حزم الأندلسي "..... 186

ثانيا : التعريف برسالة : "طوق الحمامة " 203

قائمة المصادر و المراجع : **209**

فهرس الموضوعات : 220

الملخص باللغة العربية : 224

الملخص باللغة الفرنسية : 226

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

أولا : المصادر :

01 _ الباقلاني ، أبو بكر ، إعجاز القرآن ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، ت . أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ _ 1996 م .

02 _ آرسطو طاليس ، الخطابة ، ت . عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979 .

03 _ الراغب الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ط 1 ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، ، القاهرة ، مصر ، 1433 هـ _ 2012 م .

04 _ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، ج 2 ، 1408 هـ _ 1988 م .

05 _ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ظبطه : نعيم زرزور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

06 _ السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، دار مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، د ت .

07 _ المقري : أحمد بن محمد التلساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1986 م .

08 _ ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . صلاح الدين القاسمي ، د . ط دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، 1986 .

09 _ ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، عفيف نايف حاطوم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ _ 2003 م .

10 – ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، ت . محمد ياسين عرفة ، دط ، مكتبة عرفة ، دمشق ، سوريا ، 1349 هـ .

11 _ ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، ط 4 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت .

12 _ ابن خلدون محمد عبد الرحمن ، المقدمة ، ت : درويش الجويدي ، ط 2 ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ – 2000 م .

13 _ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة الأسرة ، مصر ، 1404 هـ ، 1984 م .

14 _ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره : سيد أحمد صقر ، ط 1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1393 هـ _ 1973 م .

15 _ ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، د ط ، ت : محمد بنيس ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ .

16 _ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد الإفريقي المصري ، لسان العرب ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مجلد 3 ، 1997 م .

17 _ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ت . خالد رشيد القاضي ، دار الصبح ، بيروت ، لبنان ، ج 9 ، 1427 هـ _ 2006 م .

ثانيا : المراجع :

01 _ إبراهيم السامرائي ، من أساليب القرآن ، ط2 ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، 1407 هـ ، 1987 م .

02 _ إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي _ عصر سيادة قرطبة _ ، ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1969 م .

03 _ السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني ، البيان ، البديع ، شركة القدس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2009 م .

04 _ أحمد بن ناصر الحمد ، ابن حزم و موقفه من الإلهيات _ عرض و نقد _ ط 1 ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1406 هـ .

05 _ أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1998 .

06 _ أحمد الشايب ، الأسلوب ، ط 12 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 2003 م .

07 _ أحمد الشايب ، الأسلوب _ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية _ ، ط 6 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1966 م .

08 _ أحمد الشايب ، الأسلوب _ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية _ ، ط 8 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1411 هـ _ 1991 م .

09 _ أمير عبد العزيز ، إعجاز القرآن ، ط 1 ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2007 .

10 _ بيير جيرو ، الأسلوبية ، ترجمة : منذر عياشي ، ط 2 ، دار الحاسوب للطباعة ، حلب ، سوريا ، 1994 .

11 _ جين ب تومبكنز ، نقد استجابة القارئ – من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية – ترجمة : حسن ناظم ، علي حاكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، البصرة ، العراق ، 1999 .

12 _ حسن عليان ، الخطاب النقدي العربي : ابن خلدون ، إحسان عباس ، البنيويون ، ط1 ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 1429 هـ – 2008 م .

13 _ حسن فضل عباس ، القصص القرآني : إيحاؤه و نفحاته ، ط 1 ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، 1987 .

14 _ حسناء بوزوينة الطرابلسي ، حياة الشعر في نهاية الأندلس ، ط 1 ، دار محمد علي الحامي ، صفاقس ، تونس ، 2001 .

15 _ حسين عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي : قضايا ، فنون و نصوص ، ط 1 ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1421 هـ – 2001 م .

16 _ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

17 _ حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه _ الأدب في الأندلس و المغرب _ ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، المجلد 3 ، 1411 هـ _ 1991 م .

18 _ حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، _ الأدب العربي القديم _ ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، مجلد 1 ، 1411 هـ _ 1991 م .

19 _ زكريا إبراهيم ، ابن حزم الأندلسي _ المفكر الظاهري الموسوعي _ ، دط ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، مصر ، 1966 .

20 _ سامي محمد عبابنة ، التفكير الأسلوبي _ رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي _ ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2007 م .

21 _ سعد مصلوح ، في النص الأدبي : دراسة أسلوبية إحصائية ، ط1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 1414 هـ – 1992 م .

22 _ سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم ، مطبعة جامعة دمشق ، سوريا ، 1963 م .

23 _ سلمان خلف الله ، الحوار و بناء شخصية الطفل ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1419 هـ _ 1998 م .

24 _ شكور جورج ، كتاب البيان : الموجز في البيان و العروض مع مختارات أدبية ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1992 م .

25 _ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – ، ط 24 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

26 _ صابر عبيد محمد ، القصيدة العربية الحديثة ، ط 2 ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 1431 هـ – 2010 م .

27 _ صلاح فضل ، علم الأسلوب : مبادؤه و إجراءاته ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1419 هـ - 1998 م .

28 _ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط 1 ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، مصر ، 1420 هـ _ 2000 م .

29 _ عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ط 5 ، دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، 2006 م .

30 _ عبد الحكيم بلبح ، النثر الفني و أثر الجاحظ فيه ، المكتبة الآنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، 1955 .

31 _ عبد الحليم عويس ، ابن حزم و جهوده في البحث الحضاري و التاريخي ، ط 2 ، الزهراء للإعلام ، القاهرة ، مصر ، 1409 هـ _ 1988 م .

32 _ عبد الهادي خضير ، النقد التطبيقي عند المرزوقي – شاعر الحماسة – ، ط 1 ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 1431 هـ - 2010 م .

33 _ عثمان موافي ، الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم _ تاريخها و قضاياها _ ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1979 .

34 _ علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط 2 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، ج 8 ، 1413 هـ ، 1993 م ،

35 _ قصي الحسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان – معالمه و أعلامه – ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، 2003 .

36 _ محمد أبو زهرة ، ابن حزم : حياته ، عصره ، آراؤه و فقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1954 .

37 _ محمد الدراجي ، مباحث في علوم القرآن ، ط 1 ، دار قرطبة ، المحمدية ، الجزائر ، 1431 هـ _ 2010 م .

38 _ محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1994 .

39 _ محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، ط 1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1994 .

40 _ محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ط 1 ، الشركة العالمية للنشر لونجمان ، مصر ، 1995 .

41 _ محمد عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1980 .

42 _ محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي _ دراسة في شعر الأندلس منذ الفتح و حتى سقوط الخلافة _، ط 1 ، دار دجلة ، الأردن ، 2008 م .

43 _ محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – من أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أوائل السبعينات – ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 م .

44 _ منذر عياشي ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ط1 ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، 2002 .

45 _ محمود محمد عمارة ، الخطابة بين النظرية و التطبيق ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، مصر ، 1997 .

46 _ محمود يوسف عبد الكريم ، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم : غرضه و إعرابه ، ط1 ، مطبعة الشام ، دمشق ، سوريا ، 1421 هـ – 2000 م .

47 _ مصطفى السعدني ، التناص الشعري : قراءة أخرى لقضية السرقات ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1991 .

48 _ مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ط 3 ، مطبعة المقتطف و المقتظم ، القاهرة ، مصر ، 1928 .

49 _ مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج2 + ج3 ، 1424 هـ _ 2001 م .

50 _ غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي : قضاياه ، أغراضه و أعلامه ، وفنونه ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، 1422 هـ – 2002 م .

51 _ فايز الترحيني ، الإسلام و الشعر ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1990 .

52 _ فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث _ دراسة في تحليل الخطاب _ ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ – 2003 م .

53 _ هاشم صالح مناع ، روائع من الأدب العربي : العصر الجاهلي ، الإسلامي ، الأموي ، العباسي ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1410 هـ – 1990 م .

54 _ يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية : الرؤية و التطبيق ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الأردن ، 1427 هـ – 2007 م .

ثالثا : الرسائل و الأطروحات الجامعية :

01 _ انتصار عبد الحسين ، أثر القرآن الكريم في شعر الفرزدق ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة الكوفة ، العراق ، 1433 هـ ، 2012 م .

02 _ العيد جلولي ، إستراتيجية التناص في رواية " سرداق الحلم و الفجيعة " لـ : عز الدين جلاوجي ، مذكرة معدة استكمالا لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، 2010 – 2011 .

03 _ جمال فلاح النوافعة ، أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدوكتوراه ، جامعة مؤتة ، 2008 .

04 _ عيسى بن ساعد مدور ، الخطابة في النثر الجزائري الحديث : موضوعاتها و خصائصها ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدوكتوراه ، الجزائر ، 2004 – 2005 .

05 _ طارق محمد السلامين ، أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة مؤتة ، 2010 .

06 _ مقبولة علي مسلم الحصيني ، أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت ، رسالة مقدمة استكمالا لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1428 هـ – 2007 م .

رابعا : المصادر باللغة الأجنبية :

01 _ Bernard le charbonnier Dominique , rincé pierre , Brunel Christiane moatti , littérature textes et documents , introduction

historique de pierre Miquel xx siècle , collection Henri Mitterrand , France , 1998 .

02 _ J.a , cuddon , dictionary of litrary terms and litrary theory , 3rd edition , printed in england by clays , LTD , stives PLC , 1976 – 1977 .

خامسا : المنتديات و المواقع الإلكترونية :

01 _ الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، الظاهرية ، 13 ديسمبر 2013 .
http : // ar . wikipedia . org / w / index . php ? title & = action = history .

02 _ حاتم الشرباتي ، الظاهرية : المذهب الظاهري ، منتدى الزاهد ، 20 / 04 / 2012.
http : // www . sharabatlorg / vb / showthread . php ? t = 27 .

الملخص باللغة العربية :

إن المتعمق في آيات القرآن الكريم يجد فيها من الإعجاز البلاغي ، و روعة في النظم و جودة في السبك و جمال في الأسلوب و تلاحم في التراكيب و العبارات ، و هو ما دفعني إلى اختيار موضوع هذا البحث : " أثر الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة في الألفة و الألاف لابن حزم الأندلسي " .

فعلم الأسلوب من أجل علوم القرآن ، و أدلها على إعجاز بيانه و ارتباط معانيه و تناغم أجزائه ، و هو سر بلاغته و فصاحته لدوره الكبير (الأسلوب) في تحقيق معانيه و مقاصده .

و لقد أقمت هذا البحث على مقدمة و تمهيد تحدثت فيه عن :

- أثر القرآن الكريم في اللغة و الأدب العربي – بصفة عامة – .
- أثر القرآن الكريم في الأدب الأندلسي – بصفة خاصة – .

و كذا ملحق تعرضت من خلاله إلى :

- التعريف بالمؤلف " ابن حزم الأندلسي " .
- التعريف بمدونة " طوق الحمامة " .

ثم البدء في فصلي هذه الرسالة :

- **الفصل الأول :** " **الأسلوب القرآني ماهيته و خصائصه** " ، و أتناول فيه مفهوم الأسلوب و أنواعه ، خصائص الأسلوب القرآني ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، أمثلة عن الأساليب القرآنية ، و أخيرا الفرق بين الأسلوب القرآني و الأساليب العربية القديمة .
- **الفصل الثاني :** " **الأسلوب القرآني في رسالة طوق الحمامة** " ، و من خلال هذا الفصل نتعرف على أثر القرآن الكريم في " الطوق " من خلال التطرق إلى جانبها الشكلي و كذا المعنوي منها .

و يتبين لنا من خلال دراستنا للناحية الشكلية لأسلوب الرسالة (طوق الحمامة) على ارتباطها الكبير بالفاصلة القرآنية ، و التي أضفت مسحة جمالية على المدونة .

أما الألفاظ فيلاحظ عليها ارتباطها و انسجامها الكبير مع معانيها .

أما المضطلع على جانبه المعنوي فإنه يلحظ إيثار الأديب للتنويع في الأساليب من : خبر ، إنشاء ، و حوار ... و غيرها من الأساليب التي أعانت أديبنا على نقل أحاسيسه إلى المتلقي بشكل أوضح .

و هو الأمر الذي يظهر مدى تمكن " أبو محمد علي " من لغة الذكر الحكيم و أسلوبه ، و كذا تحكمه في قواعد اللغة العربية ، و هو الشيء الذي أعانه على تطويعها (لغة القرآن الكريم) لخدمة أسلوب رسالته .

و تنتهي رحلتي مع هذا البحث بخاتمة أرصد فيها أهم النتائج ، و التوصيات .

Résumé De Francais:

La Profondeur dans les versets du coran pour trouver le Miracle Rhétorique , magnificence des systèmes , et de qualité dans les fonderies , et la beauté de style , et cohésion des compositions et des phrases , et c'est ce qui ma incité à sélectionner le sujet de cette recherche : " Athar Osloub El Coran fi rissalat Tawq Al Hamama Ibn Hazm Al Andalousi " .

Il savais méthode pour les sciences du coran , et Idjaz sur sa déclaration , et un lien vers son sens et harmonie de ses parties , et le secret de l'éloquence de son grand rôle (Méthode) dans la réalisation de ses significations et de buts .

Et je suis allé sur le front de cette recherche et préparer parler de :

_ L'impact du coran dans La Langue et Littérature Arabe (généralement) .

_ L'impact du coran dans La Littérature Andalouse(Particulierment)

Et ainsi dans le prolongement de laquelle ont été de :

_ Auteur Définition " Ibn Hazm Al Andalousie " .

_ Le code d'identification " Tawq Al Hamama " .

Puis commencer un trimestriel ce message :

_ Le premier Chapitre : " Ossloub El coran mahiatouho wa khassaissoho " . et je prends Le concept et les styles de Méthode , les caractéristiques de Méthode coranique , Le graphique dans le Miracle du coran , des exemples coraniques de Méthodes , et enfin La différence entre la méthode coranique , et l'anciennes arabe méthodes .

Deuxième chapitre : "Ossloub Al Coran Fi Rissalat Tawq Al Hamama " .

Et à travers ce chapitre nous apprenons sur l'impact du coran dans le Ring en abordant la partie officielle , et ainsi que moraux .

Et nous pouvons voir à travers notre étude de la main pour le style formel du message " Tawq Al Hamama " sur l'association avec le grand virgule coranique , qui ajoute teinte esthétique sur le blog , les mots , sont remarqués par l'association et sa compatibilité avec le sens large .

Le moral porté sur son coté , il note diversification de l'altruisme de l'écrivain dans les styles : nouvelles , de créer , et de dialogue … et d'autre méthodes qui ont contribué de transférer ses sentiments pour le récepteur plus clairement .

Et c'est quelque chose qui montre à quel point " Abu Mohamed Ali " de la langue et le style du coran , et ainsi que régie par les règles de la langue arabe , et la seule chose qui luis a permis de s'adapter (La langue du coran) pour servir son style .

Et de terminer mon voyage de cette recherche avec une conclusion équilibre entre résultats plus importants et les recommandations .